ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

الإسلام عقيدة وقيم

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 36 - العدد 1030 - الجمعة 25 جمادى الأولى 1424 هـ - الموافق 25 يوليوز 2003

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

انزلاقات خطيرة عن الإسلام

من أخلاق الإسلام «ذكر الله»

حفظ الدين أولى الضروريات

تعريف الصفة النفسية

الصلاة على الجنازة

أقسام القلوب وأحوالها

وحدة الامة أساس النجاح

عاشت الأمة الاسلامية حينا من الدهر تدهورت فيه، وحلت بمؤخرة الركب بين أمم العالم مما ألبسها لبوسا جردها من صحة عقيدتها، وسلامة ذوقها، ومن نضج عقلها واستقلال تفكيرها، ومن صفاء نظرتها لما كان له الحظ الأوفر في تثبيت سيادتها وتقدمها وقيادتها. وكان نصيبها من كل ذلك أن استرخت بين يدي أعدائها استرخاء أنساها كيانها فاضطربت نظرتها، وأفقدها أصالتها، فاختل ميزانها، ومانشاهده، اليوم، من هجوم على المقدسات الاسلامية، وعلى المسجد الاقصى المبارك دليل على ضعف الأمة.

وكانت أولى لبنات انهيار كيان الأمة الاسلامية في اليوم الذي دب فيه النزاع والتفرقة بين أبنائها فتحولت من أمة الى أمم، ومالت عن الخط الذي رسمه لها القرآن الكريم ، وسار عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهكذا تولدت عصبيات قامت مقام الرابطة التي ربى النبي - عليه الصلاة والسلام - أتباعه عليها، وهي رابطة الاهتداء بنور الله والدعوة الى توحيده والقيام على شرعه وحمل الناس على اتباع أحكامه ليكونوا بمقتضى هذه الأصرة التي تؤلف فيما بينهم كالبنيان يشد بعضه بعضا، وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

إن الأمة الاسلامية في عصرنا هذا حاجتها إلى العمل أكثر من حاجتها إلى القول، هي في حاجة ماسة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة لتصحيح معتقدها، وتنظيم سير حياتها، ونشر رسالتها بين العالمين تحقيقا لوعد الله تعالى لها في قوله سبحانه في سورة النور: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون"

إن رجوعنا إلى القرآن الكريم الذي هو هدى ونور، وكون مجتمعا قويا من لاشيء شهد له التاريخ ، وأقام أمة من عدم إئتم بها الناس جميعا، وشيد مدرسة للعلم والمعرفة، هذا الرجوع الحكيم إلى كتاب الله هو رجوع في الحقيقة إلى المنهج الذي استفاد منه أجدادنا العظام، وأخذ منه بناة الحضارة العالمية، فهذا الرجوع إلى الكتاب المنزل على حبيبنا ونبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - هو رجوع إلى القرآن الذي لايعرف عنصرية ولاجنسية ولا طائفية ولاعصبية باعتباره كتابا للعالمين يهديهم سواء السبيل، ارتضاه المسلمون ليكون مصدر عقيدتهم ومرجع هدايتهم.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس
الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة

النصيحة في التوجيه القرآني

في هذا الركن من الجريدة سنتناول الحديث عن النصيحة في الدين، فنتعرف على مدلولها وموقعها في الكتاب والسنة، ونشرحها كما وردت في الحديث الذي سنتعرض له نقلا عن الصحاح من كتب السنة النبوية.

* * * *

النصيحة لله ولكتابه

ونتابع هذه المسيرة التوجيهية مع أنوار وأسرار حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "الدين النصيحة" قلنا لمن يارسول الله... إلى آخر الحديث كما هو منشور بتخريج صحيح الإمام مسلم في أولى حلقات هذا التوجيه وبعدما وقفنا قليلا مع مفهوم النصيحة والاستعمالات القرآنية في السور الخمس لها نخط اليوم خطوة أخرى في معرفة موضوع جواب الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصحابي الذي سأله: لمن يارسول الله؟ فقال: لله ولكتابه إلى آخر الحديث.

النصيحة لله هي المدخل لكل إخلاص وصدق يريد المسلم أن ينطلق فيه مع الله عز وجل، وتعتبر هي المفتاح الذي به يدخل المومن إلى فضاء الله عز وجل ورحابه الواسعة. وأول خطوة يخطوها الإنسان وهو في الميدان أن يعتقد بوحدانية الله عز وجل، لا إله إلا الله، فإذا نصح في هذا التوجه وأقر بهذه الوحدانية بإخلاص وصدق كاملين لابد أن يجد الطريق سهلا ميسرا لما يتبع ذلك، فيصف الله عز وجل بما هو أهل له من صفات الكمالات ويخصه بها وحده في عقيدته، فصفات الله تعالى لا يشاركه فيها أحد، وتخصيصه بها عن إيمان يفتح صدر المومن ليعيش مع الله في أنواره وأسراره فيندمج مع معاني تلك الصفات ويحلق مع طائر القلب الإيماني في الفضاءات المخصوصة التي تثبت صدره في الإيمان، فيصف الله عز وجل بما هو أهل له وبما وصف به نفسه تبارك وتعالى في كتابه الحكيم، ونحن إذا فتحنا القرآن العظيم سنلتقي مع أولى الصفات التي نقرأها في البسلمة "الرحمن الرحيم" والأولى من خصوصياته عز وجل، فلا يوصف غيره بصفة : "الرحمن" وتفسيرها نجده في قوله تعالى "ورحمتي وسعت كل شيء"، فلينظر المومن في بحر هذه الرحمة ويسبح فيه بفكره وقلبه في اخلاص وصدق نية ليصل إلى كمالات الإيمان بالله عز وجل، في ظاهره وفي باطنه، فيخضع له خضوع العبد لمولاه، ويطيعه طاعة كاملة بفعل ما أمر به وترك مانهى عنه، ويقدم حق الله على حق غيره في سره وعلانيته والنصيحة لكتابه، الإيمان بأنه منزل من الله عز وجل...

(تتمة ص: 2)

م.ر.

الإسلام عقيدة وقيم ومبادئ وتساكن وتسامح مع غير المسلم

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ الإسلام هو رسالة الله الخالدة، وهو خاتم الرسالات السماوية، ورسوله . صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة الخاتمة مبعوث للناس جميعا، وقد جمعت رسالته . صلى الله عليه وسلم . كل ما في الرسالات السماوية قبلها من خير وفضائل وقيم وأخلاق، وزادت عليها بما رسخته من مبادئ العدل والمساواة والتسامح، مع الاعتراف بسائر الأنبياء والمرسلين، من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . ومن مزايا الرسالة الإسلامية أنها أحيت التوحيد الخالص لله رب العالمين، وبعثت من جديد الإيمان بوحدانية الله تعالى، وأعطت مفهوما جديدا لارتباط السماء بالأرض، وجعلت من مبادئها الأساسية أن الله تعالى واحد أحد، موصوف بجميع الكمالات، ومنزه عن جميع النقائص، وهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، منزه عن الند والشريك، وفرضت على المؤمنين الإيمان بسائر الأنبياء والرسل، وبالكتب المنزلة عليهم، وهذا المنظور إلى الخالق تعالى، وإلى الأنبياء والرسل، وإلى الكتب المنزلة مما صححه الإسلام وبينه أحسن بيان، بعدما لعنت كل أمة أختها، وكفر أتباع الأنبياء بعضهم بعضا. قال تعالى: "وقال اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، وهم يتلون الكتاب، كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم..."سورة البقرة/الآية:113.

وركزت الرسالة الإسلامية الخاتمة على التوحيد الذي أصيب بشوائب الشرك والشك في وحدانية الله، قال تعالى:« وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل...»سورة التوبة/الآية:30.

وقال سبحانه: "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه، والله غفور رحيم، ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام..."سورة المائدة/الآية:75.74.73.

هذا الفهم الصحيح للدين أمسى غائبا عند أهل الكتاب فأحرى عند غيرهم، فجاءت الرسالة الإسلامية الخاتمة إنقاذا للتوحيد، وفهما صحيحا لمنظومة الرسالة السماوية، فهما يليق بعظمة الخالق،ويليق بمكانة أنبيائه ورسله، ويليق بكرامة الانسان قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لانفرق بين أحد من رسله..." سورة البقرة/الآية:285.

وبالإضافة إلى تصحيح العقيدة، وانقاذ الناس من الشرك ومن الفهم الخاطئ لأهداف الرسالة الربانية، بالإضافة إلى ذلك دعت الرسالة الخاتمة إلى استعمال العقل وإلى التفكير في الكون، والتدبر في قدرة الله، وكيف سخر الكون بما فيه للإنسان، وجعل الأرض فراشا والسماء بناء، وجعل الأرض ذلولا ..قال تعالى:« ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة..." سورة لقمان/الآية:20.

وقال تعالى: "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار..."سورة ابراهيم/الآية:33

وقال تعالى: "وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر، والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"سورة النحل/الآية::12

وقال سبحانه: "وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون"سورة النحل/الآية:14.

فالإسلام يدعو إلى التعامل مع الكون تعاملا مبنيا على استعمال الفكر والتدبر والمعرفة، والعلم.. قصد الانتفاع بما سخره الله للإنسان من شمس وقمر، وبحار وأنهار... فما عليه إلا أن يستعمل فكره وعقله وعضلاته، ويوظف كل طاقاته ومهارته لاستثمار الأرض وماحولها، قال تعالى: "وفي الأرض ايات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون"سورة الذاريات/الآية:21

وقال سبحانه: "وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب، وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمر وما عملته أيديهم أفلا يشكرون"سورة يس/الآية:35.

وإلى هذا فمبادئ الإسلام يقرها العقل والمنطق ويحبذها الفكر السليم، والعقل الراجح.

ولمزايا الإسلام وقيمه وسماحته وفطريته، آمن به كثير من المفكرين والعلماء وعدد وافر من الباحثين عن حقيقة التدين والتعبد، كل هؤلاء درسوا مبادئه وتعاليمه،ومايدعو إليه من توحيد الله، وحسن عبادته، عبادة مبنية على الاعتراف بربوبيته، والتقرب إليه تقربا يهذب سلوك الفرد، وينمي أواصر التضامن والتعاون بين الناس وإلى ذلك، فالاسلام يدعو إلى حرية الفرد والجماعة ويؤكد أن لاعبودية إلا لله، وأنه لافضل لأحد على آخر إلا بالتقوى، ويؤكد أن الناس سواسية لافضل لأبيض على أسود، ولا لعربي على عجمي، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "كلكم لآدم وآدم من تراب"(1) وروى ابن كثير عن الحافظ أبي القاسم الطبراني بسنده أنه (ﷺ) قال:"لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى"وأخرج البزار بسنده أنه (ﷺ) قال: "كلكم بنوآدم، وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم، أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان" ومبدأ المساواة بين الناس كان غائبا عند كثير من الأمم والشعوب وكان العرب يفخرون بأبائهم، ويصنفون الناس إلى طبقات، وهذا التصنيف كان شائعا في كثير من الأمم، وجاء الإسلام فأبطل هذه الطبقية وأعلن أن الناس من آدم، ولافضل لأحد على آخر إلا بالعمل الصالح قال تعالى في سورة الحجرات الآية (13) يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير".

ومبدأ المساواة بين الناس مبدأ أساسي للتعايش والتساكن بين الأفراد والجماعات، وبين الدول والأمم، وبدونه تصبح الحياة جحيما، وتسود العداوة بين البشر لسخرية بعضهم من بعض، وأية الحجرات السالفة، أقرت مبدأ المساواة بين الناس جميعا، ذكر ابن أبي حاتم وغيره عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قرأها على أهل مكة يوم الفتح، خطب فيهم وهو على راحلته (2).

فحمد الله وأثنى عليه بما هوله أهل ثم قال : أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية، وتعظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل بر تقي، كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى، إن الله عز وجل يقو:« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ثم قال: أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم".

وكلمة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعمروا ابن العاص تمثل روح الإسلام إذ قال: ياعمر متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"...!!

الهوامش:

1. رواه الربيع ابن حبيب في مسنده
2. تفسير ابن كثير : ج:6:388:ط:دار الفكر بيروت: 1970م./

(تتمة ص:1)

■ وأنه النظام الدائم والشريعة الخالدة لضبط أمور البشر فيما بينهم وبين الله وبين أنفسهم، وفيما بينهم وبين غيرهم من سائر البشر، مع العمل بما فيه من أمر ونهي، وتربية وسلوك والتزام وحقوق وحدود، مع تعلمه بالحفظ والتلاوة والكتابة وفهم معانيه وتعليمه للغير، تطبيقا للحديث النبوي "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" ويقرأه على الناس كما أنزل حتى يكون شفيعا له يوم القيامة كما قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في حق قارئ القرآن.

ومن النصيحة لكتاب الله عز وجل أن يعتقد أن كلام الله تعالى أفضل الكلام على الإطلاق فلا يعاد له كلام آخر ولا يرتقى إلى مستواه كلام بشر، و الأيات القرآنية التي تثبت هذا السمو لكلام الله تعالى كثيرة من خلال التحدي بالإتيان بسورة مشابهة له أو بأية أو بكلمة أو بحرف واحد.

ومن النصيحة لكتاب الله مراعاة الأدب مع القرآن عند قراءته ، إنه يتلو كلام الله ويناجي ربه ويخاطبه ويردد كلامه، والله عز وجل مطلع على حاله ويراه ويسمعه، ويرتقي الإنسان في درجة النصيحة لكتاب الله إلى مستوى وحال من يرى الله تعالى وهو يخاطبه في ليله أو نهاره.

هذه بعض المفاهيم والمعاني التي تلامسها قلوبنا ونحن نتجول في مجال النصيحة لكتاب الله عز وجل. وسنلتقي إن شاء الله مع بقية الميادين.

تعزية

رزئت الأسرة العلمية بالقنيطرة خاصة والمغرب عامة في وفاة عضوين بارزين من أعضاء مجلسها العلمي وفرع الرابطة بها العالمان الجليلان الأستاذان محمد الهبطي المواهبي وأحمد اليزيدي وهما في طريقهما إلى مدينة وزان للمشاركة في ندوة هناك وذلك يوم السبت 2003/7/19.

وقد تركت هذه الحادثة الأليمة المفاجئة أسى بالغا في نفوس علماء المغرب قاطبة لما للراحلين من إسهامات جلى في العمل الدعوي والتأليف والبحث والتدريس.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم رابطة علماء المغرب بأحر التعازي إلى أسرتي الفقيدين الكبرى والصغرى راجية من الله أن يلهم الجميع الصبر والسلوان وأن يسكن الراحلين العزيزين فسيح الجنان مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

الوثاق

تعريف الصفة النفسية للشيخ السنوسي

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

الحمد لله وحده

من خط العلامة البناني المذكور تغمده الله برحمته ما نصه الحمد لله. قال الشيخ السنوسي رحمه الله معرفا للصفة النفسية، هي التي لا تتقرر حقيقة الذات بدونها، قال سيدي عيسى السجستاني معترضا على هذا التعريف، يرد عليه اللازم الذهني كالزوجية للأربعة، فانظر ما يكون جوابه، قال الشيخ يحيى الشاوي مجيبا عنه، والجواب أن الصفة النفسية هي عين الموصوف، والزوجية أعم من الأربعة، فلست عين الأربعة، ولا وصفا نفسيا لها، بخلاف التحيز للجرم فإنه يخص الجرم، وكذا سائر الصفات فاعلمه هـ

■ قال شيخنا أمد الله بتوفيقه معترضا على هذا الجواب، ولا خفاء ما في هذا الجواب، وهو تهاتر وتساقط قوله، أن الصفة النفسية هي عين الموصوف.

❖❖❖❖

قد اختلف الناس في الحال، فبعضهم نفاها وقال ما يمثل به للصفة النفسية، كالتميز، هو راجع إلى الموصوف، فليس بزائد، وبعضهم أثبتها وقسمها إلى قسمين نفسية ومعنوية، فالجمع بين كون الشيء نفسيا وكونه عين الموصوف جمع بين متنافيين، إلا أن يكون بقرب من التمجز على حد ما ذكره الشيخ السنوسي في قوله.

❖❖❖❖

وقد سبق الإعتذار عن عده صفة، وبمثل ذلك يعتذر عن عده صفة نفسية لخ، وقوله والزوجية أعم من الأربعة لا يخفى أن الزوجية صفة للأربعة، فكيف تكون أعم منها، وفي أي محل يشتركان؟ ونظير هذا من يقول الحركة أعم من الإنسان لوجودها في غيره، وهذا كله لا يعقل، وكأنه لما رأى الزوجية توصف بها غير الأربعة، جعل بينها وبينها عموما، وذلك غير صحيح قوله، فليست عين الأربعة ولا وصفا نفسيا لها الخ، أي بسبب أنها أعم انتفت العينية والنفسية، هذا صريح في أن كل ما يوصف به غير الشيء لا يكون صفة نفسية لذلك الشيء وإن اتصفه، وكان لا يفارقه ويرد عليه الحيوانية فإنها صفة نفسية للإنسان مع وجودها في الفرس، وقوله بخلاف التحيز للجرم فإنه يخص الجرم، هذا كله إنما ينتج له الفرق بين الصفة النفسية والزوجية، والسكتاني معترف بذلك، والإيراد الذي أورده إنما هو على الحد لا على أنه ما الفرق بينهما حتى يجاب بمثل ذلك.

❖❖❖❖

وحاصل الإيراد أن الزوجية تدخل في حد الصفة النفسية مع أنها ليست بصفة نفسية، فيكون الحد غير مانع، وإذا كان هذا هو السؤال فكيف يكون جوابه بأن الزوجية ليست بصفة نفسية، ويذكر الفرق بينهما، فهذا يؤكد الإيراد ويقويه، لا إنه يدفعه، تأمل هـ ما كتبه شيخنا وحيد دهره وفريد عصره الفائق لغيره بلا نزاع، الحائز قصب السبق بلا دفاع، سيدي محمد القسنطيني الحسني أطال الله بقاءه وأسدل عليه رحمته ونعماءه.

❖❖❖❖

ويقول العبد الضعيف القصير الباع القليل الإطلاع: إعلم أن في هذا المحل أمورا ثلاثة لا يشتبه بالأولين لمنافاته لهما في لازمه الذي هو المفارقة، وأن الثاني ينقسم إلى قسمين، قسم تمكن مفارقته في العقل كألوان بعض الحيوانات التي لا تفارقها منذ وجدت مثل الغراب، وقسم لا تمكن فيه المفارقة في العقل وهو اللازم الذهني كالزوجية، وأن الأول من هذين القسمين لا يشتبه بالوصف النفسي، وإنما الذي يشتبه به هو الثاني، وذلك لأن الوصف النفسي هو ما يلزم في الخارج وفي الذهن وهذا القسم الثاني قد ثبت فيه هذا اللزوم فاشتبه أحدهما بالآخر.

وقد اعتنى الناس بالفرق بينهما فذكروا فروقا ثلاثة أحدهما أن الوصف النفسي الذاتي ما لا يتصور فهم الذات قبل فهمه كاللونية للسواد والجسمية للإنسان، وثانيها أن الذاتي ما ليس معللا كالنطق للإنسان وكالمثالين المتقدمين، وثالثها أنه ما تقدم في الوجهين أعني الوجود الخارجي، وقد اعترض الأول بأمرين أحدهما، أن الماهية لو عرفت برسم يوجب تصورها لكانت متصورة بدون ذاتيتها، فقد فهمت الذات قبل فهم ذاتها، وأجيب بحمل الصور على التصور بالكنه، ثانيهما أن الشيء البسيط إذا كان له رسم فإنه يمتنع فهمه قبل فهم رسمه، فيكون ذاتيا له، والفرض أنه بسيط، وأجيب بأنه يمكن ادراكه برسم آخر فلا نسلم ما ذكر من الامتناع، واعترض الثاني باللوازم البينة الأولية أي اللاحقة لذات الشيء كالانقسام بمتساويين للأربعة مثلا والثالث بأن مبناه على وجود الكلي الطبيعي خارجا والتحقيق خلافه.

قالوا وهذه الفروق تعاريف رسمية للذاتي إذا تصَوَّرْتَ هذا فاعلم أن هذا الرسم الذي ذكره الشيخ السنوسي غير هذه الثلاثة لكنه يقرب من الأول ولا يرد عليه اللازم الذهني لتقرر الذات بدونه خارجا وذهنا وذلك لأنه فرض أنه خارج عن الذات، وأنه ماهية مستقلة تلزم ماهية أخرى ليست جزء منها لا في الخارج ولا في الذهن، ألا ترى أن الأربعة مثلا وضعت بإزاء عدد مخصوص وأن الزوجية ليست داخلة في مفهومها ذهنا ولا خارجا، فلا يردح اللازم الذهني على هذا الرسم بوجه ولا بحال، فاعتراض السيد عيسي ليس كما ينبغي وكأن اعتراضه هذا مبني على ما سبق له في بحث البقاء من المناقشة مع المص وقد علم دفعها.

وجواب الشيخ يحيى قوي إلا أنه حصل له قلق في العبارة والمراد منها معلوم بالتأمل فيها وما رد به عليه شيخنا يمكن الجواب عنه، وذلك لأن حاصل الجواب من الشيخ يحيى أن الذات لا تتحقق بدون النفسية وتتحقق بدون اللازم الذهني كالزوجية فإن الأربعة تتحقق بدونها كما سبق بيانه ولا كذلك التحيز للجرم، وإذا كان هذا هو حاصل الجواب اندفع الإيراد فلا إشكال، لكن الشيخ يحيى تقلق فعبر عن الأمر الأول بقوله الصفة النفسية هي عين الموصوف، أي فلا تتحقق الذات بدونها لا يصح الا على مذهب المناطقة الحاصرين النفسية في جزءي الذات الجنس، والفصل، أما على مذهب المتكلمين المثبتين للنفسية في الذات العلية والأوصاف السنية فلا، إذ التركيب فيهما بالفصل والجنس مستحيل، وإذا لم تكن جنسا ولا فصلا عندهم ثبت كونها خارجة، فتكون كاللوازم البينة، فيلزم استواؤهما وهذا هو معنى الإيراد.

وأما ما ذكر من الفروق الثلاثة فلا يصح إلا على المذهب المنطقي وليس المقام مقامهم، لكون الاصطلاح اصطلاح المتكلمين قلت مُسَلَّم أن ما ذكر من الفروق على المذهب المنطقي، وإنما ذكرناه مشاكلة لما في شيخنا إذ هو معتبر لمذهبهم، ألا تراه يمثل بالحيوانية ولكن اعلم أنه على المذهب الكلامي أيضا لا ينبغي اشتباه النفسي باللازم، أليس لما أشار له الشيخ يحيى من أن اللازم البين يعتبر فيه بخلاف الصفة النفسية، فلابد من مساواتها للموصوفية وفيه نظر لكونه لا يلزم منه لعدم تحقق الذات بدونها مع فرضها خارجة والصواب أن لا خلاف بين المتكلمين والمناطقة في أن الأوصاف النفسية ما كانت داخلة في الحقيقة وهي الجنس والفعل.

❖❖❖❖

فإن قلت التركيب في الصفات مستحيل قلت اما المادة فنعم وهذا الذي يلزم منه الحدو، وأما العقلي فلا، لاشتراك القدرة والإرادة مثلا في جنس الصفة وانفراد كل واحدة بما يميزها عن صاحبها، فهذا تركيب عقلي بلا اشكال، فإن قلت نحو التعلق للقدرة مثلا ظاهر أنه داخل في مفهوم القدرة الرسمي، فيصح كونه نفسيا على ما زعمت، وأما نحو قيامها بالموصوف أو كونها توجب لمحلها كونه قادرا فلا تصح دعوى النفسية فيه لخروجه عن الحقيقة وكذا نحو التميز للجرم، وكذا نحو التحيز للجرم، وكذا كون العرض لا يبقى زمانين على أن نرجع في التعلق أيضا لأنه لا يلزم من دخوله في رسمها دخوله في حقيقة بما ثبت في الضاحك مع الانسان فأي صفة نفسية دخلت في الحقيقة على المذهب الكلامي حتى تصح دعوى التوافق بينهم مع المناطقة هـ ما وجد هـ من خط شيخنا سيدي التهامي كنون.

ح ع: د 1755

في ظلال الحديث

الحديث الخامس والسبعون: أقسام القلوب وأحوالها

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " متفق عليه.

تخريج الحديث:

هذا الحديث رواه البخاري في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (ج1ص153ح52)والبيوع، باب الحلال بين والحرام بين (ح2051)، ورواه مسلم في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم 1599 والترمذي في البيوع، باب ما جاء في ترك الشبهات رقم 1205، والنسائي في البيوع 327/8 وفي الأشربة رقم 5614 وابو داود في البيوع رقم 3329 وابن ماجة في الفتن رقم 1318، وأحمد بن حنبل في الجزء 4ص:275.271.270269.267 والدارمي في البيوع رقم 245/2...

درجة الحديث

هذا حديث متفق على صحته من رواية الشعبي عن النعمان بن بشير، وفي ألفاظه بعض الزيادة والنقص والمعنى واحد متقارب.

سند الحديث:

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه فقال: حدثنا أبو نعيم حدثنا زكرياء عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله (ﷺ) يقول وذكر الحديث وهذه تعريفات برجال السند وهم كوفيون:

أبو نعيم: أبو نعيم الفضل بن دكين بن حماد بن زهير الحافظ الثبت الكوفي الملائي التاجر. قال أحمد هو أعلم بالشيوخ وانسابهم وبالرجال ووكيع أفقه منه وقال أبو زرعة الدمشقي سمعت بن معين يقول ما رأيت أثبت من رجلين يعني في الأحياء أبي نعيم وعفان وقال أحمد بن صالح ما رأيت محدثا أصدق من أبي نعيم، وقال يعقوب الفسوي أجمع أصحابنا أن أبا نعيم كان غاية في الإتقان، وقال أبو حاتم: أبو نعيم حافظ متن، ولد سنة 130، ومات شهيدا بالخوانيق وبورشكين في شعبان سنة 219.

زكرياء: هو أبو يحيى زكريا بن أبي زائدة واسمه خالد بن ميمون ابن فيروز وقال الهمداني الوادعي الكوفي الحافظ. قال أحمد بن عبد الله العجلي زكريا من أصحاب الشعبي وكان ثقة وقال أبو زرعة: صويلح يدلس كثيرا عن الشعبي، وقال أبو حاتم لين الحديث كان يدلس، وقال أبو داود ثقة ولكنه يدلس وقال النسائي ثقة. مات سنة 148، وروى له الجماعة.

عامر: هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي الشعبي، علامة التابعين، كان إماما حافظا فقيها متفننا ثبتا متقننا، سمع من ثمانية وأربعين من أصحاب النبي (ﷺ). قال العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لايكاد يرسل إلا صحيحا، وعن بن المديني: قيل للشعبي من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد والسير في البلاد وصبر كصبر الجماد وبكور كبكور الغراب، وقال بن عيينة: العلماء ثلاثة: بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه. توفي رحمه الله سنة 104هـ.

النعمان بن بشير: هو أبو عبد الله، النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي الكوفي، أول مولود للأنصار بعد مقدم النبي (ﷺ) إلى المدينة، وجيء به إلى رسول الله (ﷺ) فحنكه بالتمر، أبوه صحابي وأمه صحابية (رضي الله عنهم)،تحمل الحديث وهو صغير ورواه بعد بلوغه وولي إمارة الكوفة وقضاء دمشق وحمص وكان من أخطب الناس. روى له 114 حديثا وقتل غيلة وله 64عاما.

أهمية الحديث:

لقد عظم العلماء أمر هذا الحديث (بطوله) فعدوه رابع أربعة تدور عليها الأحكام كما نقل عن أبي داود، وجعله بعضهم ثالث ثلاثة، وأشار ابن العربي إلى أنه يمكن أن ينتزع منه وحده جميع الأحكام، قال القرطبي: لأنه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب، فمن هنا يمكن أن ترد جميع الأحكام إليه.

مفردات الحديث:

"ألا" للتنبيه على صحة مابعدها، وفي إعادتها وتكريرها دليل على عظم شأن مدلولها.

"مضغة":أي قدر ما يمضغ، وعبر بها هنا عن مقدار القلب في الرؤية.

"القلب": سمي القلب قلبا لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن، وخالص كل شيء قلبه.

المعنى العام:

1. القلب في الجسد ملك مطاع: لما كان القلب للأعضاء كالملك المتصرف في الجنود التي تصدر كلها عن أمره ويستعملها فيما يحب، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، فهو ملكها وهي المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما يأتيها من هديه، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته، وهو المسؤول عنها كلها، فكل راع مسؤول عن رعيته، لذا كان الاهتمام بتصحيح القلب وتسديده أول ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراض القلب وعلاجها أهم ماتنسك به الناسكون.

ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه، وزين له من الأحوال والأعمال مايصده عن الطريق، وأمده من أسباب الغي ما يقطعه به عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى والتعرض لأسباب مرضاته والتجاء القلب إليه وإقباله عليه في حركاته وسكناته، والتحقيق بذل العبودية الذي هو أول ماتلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)سورة الحجر/الآية:42.

2. أقسام القلوب:

لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها انقسم بحسب ذلك إلى أقسام ثلاثة: قلب سليم. وقلب ميت. وقلب مريض، وذلك حسب الحالة التي يعيشها والأعراض التي تظهر عنه، وهي الأعمال:

أ. القلب السليم:

وهو القلب الذي لاينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به كما قال تعالى: (يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم) سورة الشعراء/الآية:88.

والسليم هو السالم الذي صارت السلامة صفة ثابتة له كالعليم والقدير، وأيضا فإنه ضد المريض والسقيم والعليل، فهو الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ماسواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فخلصت عبوديته لله تعالى إرادة ومحبة وتوكلا، وإنابة وإخباتا وخشية ورجاء، وخلص عمله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولايكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله. صلى الله عليه وسلم. فيعقد قلبه معه عقدا محكما على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأفعال.

ب. القلب الميت:

هو القلب الذي لاحياة فيه، فهو لايعرف ربه ولايعبده بأمره ومايحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله حبا وخوفا ورجاء ورضا وسخطا وتعظيما وذلا، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن منع منع لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه،فهواه آثر عنده من رضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور، ينادى إلى الله والدار الآخرة من مكان بعيد فلا يستجيب للناصح ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه، فمخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته سم، ومجالسته هلاك.

ج. القلب المريض:

قلب له حياة وبه علة فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والعجب والكبر وحب العلو والفساد في الأرض والرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداع يدعوه إلى العجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه وأدناهما إليه جوارا.

فالقلب الأول حي مخبت، والثاني يابس ميت، والثالث مريض فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

وهذه كلمات أردتها أن تكون من القلب إلى كل صاحب قلب في بقية باقية من الحياء والحياة، وكلاهما ضروري لوجود الآخر، لعلنا نجلس ساعة نخلص فيها التفكير والتدبر فننظر في أحوال قلوبنا، ونحاول أن نكون صادقين في تشخيص المرض لنقوم إلى تلمس العلاج، وهو موجود ومتوفر والحمد لله تعالى (ألا بذكر تطمئن القلوب).

فوائد الحديث:

- القلب أهم عضو في الجسم.
- القلب أساس الصلاح أو الفساد.
- القلوب ثلاثة: سليم ومريض وميت.

حديث المنابر

حفظ الدين أولى الضرورات

الخطبة الأولى

■ إعداد الأستاذ: رضوان ابن شقرون

الحمد لله أكرمنا بالإسلام دينا، الحمد لله جعل لنا محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ورسولا، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره، ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونومن به ونتوكل عليه، ونثني عليه بما هو أهله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، ومالك يوم البعث والدين، وولي العباد المتقين، وقابل توبة العصاة المذنبين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أرسله الله للعالمين بالحق بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله صابرا محتسبا حتى أتاه اليقين، ونحن على ذلك من الشاهدين، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحابته، وجزاه الله خير ما يجزي به نبيا عن أمته.

أما بعد فإن خير الزاد التقوى، ألا فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم تعتقوها يوم الفزع الأكبر، واتقوا الله في دينكم تحفظوه من كل خطر، وكونوا مع الصادقين في الدنيا يجعلكم ربكم مع الفائزين في الأخرى: "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون، ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون، لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون" سورة الحشر/الآية:19.18.

واحمدوا الله العلي العظيم عباد الله واشكروه، فلقد أكرم الله عز وجل هذه الأمة بالإسلام دينا، وأكرمها بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وشفيعا، وبالذكر الحكيم هداية ورحمة ومنهاجا مبينا، قال جل شأنه: "ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمحسنين"سورة النحل/الآية:89. وتولى سبحانه وتعالى حفظه فقال: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" سورة الحجر/الآية:9، لأن الدين لايقوم إلا بالقرآن، ولايحفظ إلا بحفظ القرآن.

معنى الدين وحقيقة التدين:

ولفظ الدين مشتق من أصل لغوي يفيد الطاعة والخضوع برضى وطواعية وإيمان، والاقتناع باطنا وظاهرا بما جاء من الله المنان، والانقياد لحكم الله عز وجل وتنفيذ شرعه والانضباط به، والدين في أصله ومنبعه "وضع إلهي. لابشري. سائق لذوي العقول السليمة. لا للشواذ ولا للمنحرفين ولا الضالين. باختيارهم المحمود. بلا إكراه ولا قسر ولاضغط. إلا الصلاح في الحال، والفلاح في المآل"، وذلك لمصلحة الإنسان وخيره وسعادته، أدرك الإنسان ذلك أو لم يدركه.

والدين بهذا المفهوم هو الإسلام، وبالإسلام جاء الوحي كل الوحي النازل من السماء، ونزلت الكتب كل الكتب التي نزلت على الرسل والأنبياء، قال تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم، بغيا بينهم، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب"سورة آل عمران/الآية:19، وبالإسلام دان الناس الراشدون من آدم أبي البشر إلى إكمال الدين وإتمام النعمة على الثقلين برسالة خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلا دين يقبل عند الله غير الإسلام،"ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين"سورة آل عمران/الآية:84.

الدين الكامل الصحيح مكوناته وغاياته:

والدين الكامل المقبول عند الله، المحتاج البشر إليه، يتكون من الإيمان وهو الاعتقاد، والإسلام وهو العمل، أي الجمع بين الاعتقاد المستقر في القلب، والشهادة المنطوقة باللسان، والعمل الظاهر بالجوارح، وهو يشمل الوحي الإلهي الذي تنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بجميع مكوناته: التصديق المطلق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والأحكام المشروعة التي تحكم ظواهر الناس وتنظم شؤونهم وعلاقتهم الخاصة والعامة. والذي لا يوفر الطاعة والخضوع لشرع الله عليه أن يصحح إيمانه، ويراجع نفسه في ادعاء الانتماء لهذا الدين، ويتبين أمره ويتحقق من الرابطة التي تربطه بربه، لأن التدين ليس قولا أجوف ولا ادعاء خاليا من الانضباط والالتزام عقدا وعزما وممارسة.

والدين الصحيح يربط بين عبادة الله وطاعته وبين حب الخير للناس، وبين عصيانه وبين الإضرار بالناس، الدين الصحيح يسمو بالإنسان فوق حاجاته الجسمية ونوازعه الأنانية، ويوثق الصلة بينه وبين خالقه، ويبث في نفوس معتنقيه المؤمنين به حقا حب العدل والإخاء والمساواة، وكره الظلم والطغيان والكبرياء والمجافاة، ويملأ قلوبهم بالرحمة والمودة، ويشبعهم بروح الأخوة بينهم وبين من يشتركون معهم في الدين، بل بينهم وبين البشر أجمعين، لأن الأصل واحد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مقررا مبدأ الوحدة والمساواة بين البشر: "كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان"(والجعلان: نوع من الخنافس، يشبه به الرجل الأسود الذميم، والحديث رواه البزار، عن حذيفة رضي الله عنه: كنز العمال3/527ح7744).

مقاصد الشرع الربانية تهدف إلى تحقيق المصالح:

شرع الله الذي أقره وارتضاه لعباده يهدف إلى تحقيق مقاصد شرعية ربانية توصل الإنسان إلى تعمير الكون وتحقيق المصالح ونشر الحق والخير والعدل بين الناس. والواجب مراعاة القواعد العامة والكليات الأساسية في استنباط الأحكام من النصوص أو في الاجتهاد والإفتاء فيما لا نص فيه، وذلك من أجل أن تتحقق بالتشريع مقاصده، وتتحقق مصالح الناس الضرورية والحاجية والتحسينية.

وقد اتفقت الأمة، بل سائر الأمم والملل والنحل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضرورات الخمس التي بها تقوم حياة الإنسان في الأرض ويتحقق له الاطمئنان، وهي : الدين، والنفس، والعقل، والعرض أو النسل، والمال، فالشريعة كلها مبنية على حفظ هذه الضروريات، وذلك ثابت راسخ لم يقع النسخ في شيء منه لثباته واطراد قصده، وإنما تطور الوحي وتعاقب، حتى جاء التنزيل في المرحلة المدنية من آخر البعثة المحمدية ليقويه ويحكمه ويحصنه، والعلم بأهميتها وبطرق حفظها وصيانتها يعتبر من المعرفة الضرورية للأفراد والجماعات.

حفظ الدين من الكليات القطعية:

وأول هذه الكليات الضرورية وأهمها: حفظ الدين، وهو مقصد قطعي لايرقى إليه جدال، وإنه أمانة كبرى ومؤكدة في عنق كل مسلم "ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم"سورة الأنفال/الآيتان:28.27.

وحفظ الدين يعني بقاء الشريعة واستمرارها وتطبيقها، وذلك بما يلي:

. بإيجادها، وهو التشريع، وقد تكفل الله ورسوله ببيان الشرع بالقرآن والسنة، واعتنت الحكمة الربانية بكفالة الحقوق والواجبات، وتوجيه الناس لتوفير ذلك وضمانه ما استقاموا على الشرع.

. وبتحقيقها، وهو الممارسة بأن يكون المسلم مطبقا للعبادة والشريعة مقبلا عليها بإيمان وصدق وإخلاص، وأن يكون حذرا من أن تستدرجه النعم إلى الدعة والذلة والتقاعس والاستهانة بأمر الدين.

. وببقائها، وهو الصيانة بأن يحفظ المسلم دين الله وشرعه بما يملك من قوة وعدة وإمكانات، وأن يغار على دين الله من أن تنتهك حرماته، عن طريق إجراءات عملية وسلوكات يمارسها بدافع الإيمان والانقياد لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وولاة الأمر فيهم، ومن هذه الإجراءات العملية والممارسات الإيمانية:

. الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال، جهاد من عاند الدين أو رام إفساده، ومقاومة المرتدين والملحدين.

. الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويدخل في ذلك مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

. الدفاع عن الدين من الأخطار التي قد تحدق به من الداخل على أيدي العصاة والفاسقين، والمبتدعة والمتزندقين، وتلا في النقصان الذي قد يطرأ عليه إذا استهدف المبتدعون والمارقون شيئا من أصول الدين.

فبذلك يتوافر صون مبدأ التدين وحفظ دين الله من الفساد، ومما يروى في حرص السلف على حفظ الدين "مر عمر ابن الخطاب بمعاذ بن جبل رضي الله عنهما فقال عمر: ماقوام هذه الأمة؟قال معاذ: ثلاث وهن المنجيات: الإخلاص، وهو الفطرة، والصلاة، وهي الملة، والطاعة، وهي العصمة، فقال عمر: صدقت".

والمنهج الفردي المؤدي إلى تحقيق ذلك يتجلى في أمرين:

1. محاسبة النفس: وبها المساءلة، وطريقها الموازنة، وكمالها إساءة الظن بالنفس: قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر "يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية"الاية::17 من سورة الحاقة.

2. الفرار إلى الله: قال تعالى: "ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين" سورة الذاريات/الآية:51.50، والأتقياء السعداء يفرون إليه والأشقياء التسعاء يفرون منه لكن أين؟؟ لا أين لهم يفرون إليه!!

فاللهم لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، ولا مفر لنا إلا إلى كنفك، نسألك اللهم أن تكلأنا بعنايتك وتحفظ ديننا بحفظك، وأن توفقنا إلى الخير، وأن تغفر ذنوبنا إنك غفور رحيم، إنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من أخلاق الإسلام "ذكر الله"

■ إعداد الأستاذ: محمد حسني

■ يعتبر ذكر الله أعظم منحة ربانية لجلوس العبد مع خالقه، يقول الرسول (ﷺ) في حديث قدسي: (أنا جليس من ذكرني) ويقول في حديث آخر (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه).

كان رسول الله يذكر الله على أحيانه وكان يقول:(سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله، قال المستهرون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا) ويقول (ﷺ):(ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله عز وجل) فكيف يطبق الإنسان الذكر؟ وكيف يستفيد من الذكر الذي يوحد مسار الأمة الإسلامية؟

1. التربية الروحية تطويع العاطفة لقرار العقل:

التربية الروحية أساسها الذكر الذي يهدف إلى تطويع العاطفة لقرار العقل. أي إخضاع كل النزوات والشهوات والغرائز، إلا أن تخضع للتعقل الذي تصونه الشريعة الإسلامية العصماء، فحتى يتحرر الإنسان من شهوات نفسه وينقاد إلى قرار عقله،لابد له من الدواء الشافي الذي يتناول عبر جرعات متكررة يوميا، وهو ذكر الله سبحانه وتعالى، فالمداومة على الذكر هو جلاء الصدى عن القلب، والغاية من هذا كله هو يقظة العقل ويقظة القلب ولذلك يقول تعالى: (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة، ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين).

فالذكر تتولد عنه إشراقات نورانية من الله على الروح التي هي من خلقه والتي يغار عليها. ويغار على خلقه وهو الإنسان الذي هو بنيانه، يقول فيه تعالى : (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ويقول في مجال التكريم: (ولقد كرمنا بني آدم) فعندما يشرق سر الذكر على الدماغ يكون منه العقل، وعندما يشرق على القلب تتولد العاطفة والوجدان (الحب والتعظيم والرحمة والرأفة والحنان وغيره) وإذا أشرق سره على الخلايا تكون بذلك الشعور. ومصدر كل ذلك واحد وهي الروح التي هي من الملأ الأعلى التي تظل في حنين إلى العالم الذي جاءت منه يقول تعالى لآدم وحواء: (وقال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو) هذا وإن هذه الروح لها نسب بالله سبحانه وتعالى.

2. الروح من أمر الله تعالى:

يقول تعالى في كتابه العزيز: (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ويقول تعالى معبرا عن هذه الروح التي استقرت في الإنسان وأنها من الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فهي منسوبة إلى الله سبحانه وتعالى لذلك فهي كمال وجمال، يقول (ﷺ) في الحديث القدسي: (خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم)، وهؤلاء الشياطين هم شياطين الإنس والجن. يقول تعالى:(شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)يقول تعالى في أنه خلق الإنسانية على الفطرة:(فطرة الله التي فطر الناس عليها).

3. الروح تحن إلى خالقها:

فالروح تشتاق إلى بارئها ومصورها، أي إلى العالم الذي هبطت منه، ولها تعلق بروح الجمال والكمال بالذي صورها وبالذي خلق الإنسان في أحسن تقويم وهو بنيانه، هذا الإنسان الذي يتخبط بين ركام الماديات والمعنويات. بين جمال الروح في الحياة، والجمال الظاهري، الظواهر الطبيعية، والروح نزاعة إلى حب بارئها ومصورها، وفي هذه الحياة تكاد تطغى فيها المادة عن الروح ذلك أنه إذا تصاعدت الروح اصطادتها الغرائز وترجمتها لحسابها . ولذلك لابد من رابطة تظل على الدوام تربط الإنسان بالعالم الذي تتذكر العودة إليه . والعالم الذي تحن إليه، وهو الارتباط بخالقها، كما يقول الرسول (ﷺ) في هذا المعنى (نسألك الرضا بقضائك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضللة) فالذي يحيي في الإنسان روح التذكر هو الذكر.

4. الذكر هو الدواء:

الذكر هو ربط المخلوقات بخالقها، أن تذكره من خلال ما خلق، فلننظر إلى ما أبدع الله سبحانه وتعالى، فمن خلال المصنوعات نرى الصانع، وننظر إلى صنعه ولانتفكر في ذاته تعالى سبحانه لأنه هو المبدع، ولا عن الخلق لأنه هو الخلاق ذو القوة المتين، يقول ابن عطاء الله الإسكندرية:"فمتى غاب حتى يستدل عليه بأثره"، فالإنسان يلجأ إلى ركن ركين في حياته وهو الذكر الذي يتخطى به الغرائز والأهواء والشهوات، وليس المأمول أن يتحول الإنسان إلى ملائكة ولكنه يحافظ علي إنسانيته ويبقى بشرا، فالإنسان بغرائزه وشهواته ونزواته يعيش لكنه يوجهها نحو خالقه في إطار كتاب الله وسنة رسوله، يقول تعالى في كتابه العزيز: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) ويقول تعالى(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور).

فشتان بين إنسان يريد إشباع نزواته وشهواته وغرائزه في هذه الحياة ومن جاء من أجل وظيفة سامية في الحياة وهي إقامة شرع الله، وهو الذي يتوج حياته بذكر الله سبحانه وتعالى.

5. الإنسان يعيش قلقا في حياته فما هو مصدر هذا القلق؟

إن الله سبحانه وتعالى وعدنا بالجنة إن نحن عملنا لما يدخل إليها، وكفل لنا أرزاقنا، ووضع في هذه الأرض أقواتها وأرزاقها، ونؤمن بالبعث والنشور والصراط والحساب، والوقوف أمام الله، لكننا نقلق أحيانا على رزقنا وكسبنا الذي هيأه الله لنا، فنعيش في قلق دائم على ماضمنه الله لنا، لكن الله سبحانه وتعالى يطمئننا ويقول: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)ويقول كذلك:(الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليه آياته زادتهم إيمانا).

6. كيف يثمر الذكر الطمأنينة:

فبواسطة الذكر تتم الطمأنينة، وبالذكر يحدث الوجل والاضطراب ذلك أن الذكر يجعل الإنسان يعيش حياة مطمئنة لايقلق معها، لأن الذكر بالله زاد الثقة في النفس، فلا يقنط الإنسان في الحياة ولايكتئب وإنما يكابد ويصبر ويحتسب . فالذكر كذلك كلما ازداد قربا ازداد وجلا، يقول تعالى:(الذين يؤتون ما أوتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون)، فالعودة إلى الله هي إطمئنان روحي ولذلك يرى رمضان البوطي أن الشيء الذي يوحد الرؤيا ويجمع الأمة هو ذكر الله سبحانه وتعالى الذي يؤدي إلى محبة صادقة في الله وفي خلقه، ومع هذا يسود التناصح والتوادد ويزول الصراع الديني والمذهبي.

وإذا كان الغذاء للروح هو الإكثار من ذكر الله تعالى في هذا الكون من تهذيب القلوب وزرع بذور المحبة تبددت كل الحركات الغير الإسلامية. ويتعود الإنسان على ذكر الله صباحا ومساء وليلا، يقول تعالى: (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) سورة الروم/الآية:19.

يرى رمضان البوطي أن الداعية لابد له حتى ينجح في دعوته أن يكون ذاكرا الله سبحانه وتعالى مترقبا لأمره ونهيه، يجده حيث أمره ويفقده حيث نهاه، وإذا كان ذلك فإن الصورة التي ينشدها هي العودة إلى أصل الأشياء وهي الفطرة أي الخلق الأول السماحة والرحمة والوفاء والعفة والقناعة والخير والفضل، وهذه هي الثمار الموحدة للإنسانية المتطاحنة في صراعها تحت تأثير الاتجاهات والمذاهب الفلسفية والدينية والثقافية وغيرها.

7. نماذج من الذاكرين:

رأى رجل موكب سليمان فأعجبه في زهوه وفخره، وثرائه وغناه، وهو موكب ضخم، وقد أخذ ذلك المنظر في نفس الرجل، فنزل جبريل على سيدنا سليمان وقال له أخبر الرجل وقل له لقد عظمت ملكي، هذا وإن تسبيحة واحدة في الله خير من ملك ال داوود، أي أن الإنسان لايكبر الدنيا في قلبه والتي يقول فيها الرسول (ﷺ): (لو كانت الدنيا تساوي جناح بعوضة ما سقى منها كافر)الحديث. خرج الرسول (ﷺ) فوجد قوما يذكرون الله تعالى منهم من هو جاف الجلد، ثائر الرأس، وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن اصبر نفسي معهم) الحديث، وأخرج الطبراني وابن جرير الطبري عن عبد الله بن سهيل قال: نزلت على رسول الله (ﷺ): (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تغد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا).

إن الذاكر إذا مات تبكي عليه الأرض التي كان يمشي عليها والسماء الذي يطلع فيها عمله. أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عبيد قال "إن المؤمن إذا مات نادت بقاع الأرض عبد الله المؤمن مات فتبكي الأرض والسماء، فيقول الرحمان: مايبكيكما على عبدي؟فيقولون ربنا لم يمش في ناحيته منا قط إلا وهو يذكرك"يقول تعالى في سورة الدخان، الآية:29، (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) وهؤلاء هم أهل فرعون. أخرج ابن جرير الطبري في التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى : (فما بكت عليهم السماء والأرض)وقال: "إن المؤمن إذا مات بكى عليه من الأرض الموضع الذي يصلي فيه ويذكر الله فيه".

"فالذين يصلون الليل"، أخرج البزار عن معاد بن جبل قال: قال الرسول (ﷺ): (من صلى منكم بالليل فليجهر بقراءاته فإن الملائكة تصلي بصلاته وتسمع لقراءته وإن مؤمنين الجن الذين يكونون في الهواء وجيرانه معه في مسكنه يصلون بصلاته ويستمعون قراءته. وأنه ينطرد بجهره بقراءته عن داره وعن الدور التي حوله فساق الجن ومردة الشياطين)الحديث.

أخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن صفية قالت: (دخلت على رسول الله (ﷺ) وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن فقال ما هذا يابنت حي؟ قلت أسبح بهن قال قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا قلت علمني يارسول الله قال قولي سبحانه الله عدد ما خلق من شيء)حديث صحيح.

وعن أبي صفية مولى النبي (ﷺ) وهو رجل من أصحاب الرسول (ﷺ) وكان جارنا. قالت فكان يسبح بالحصى.

وأخرج ابن سعد عن حكيم الديلمي أن سعد بن أبي وقاص كان يسبح بالحصى، وكانت مولاة لسعد كذلك تسبح بالحصى أو النوى.هذا وفاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب كانت تسبح بخيط.

كان أبو هريرة له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به. وكان لا ينام حتى يسبح 12000 تسبيحة، وهذا ما أشار إليه عكرمة.

وكان لابن الدرداء نوى من نوى العجوة في كيس، وكان يسبح بهن من الغداة ويخرجهن واحدة حتى ينفدن، وأبو الدرداء هذا كما يقول الرواة أنه كان يسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة وهذا لا يتمكن حصره بالأنامل ولذلك احتاجوا فيه إلى الوسيلة وهي السبحة وكما قال الفقهاء "نعم المذكر السبحة"

وأبو مسلم الخولاني قام ليلة والسبحة في يده تدور وتسبح، وهي تقول سبحانك يامنبت النبات ويا دائم الثبات، ذكره أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري في كتاب كرامات الأولياء.

وكان الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله أرواحهم إذا وضعها على الأرض تدور وحدها حبة حبة.

فأهل الله الذاكرون جميعا كانوا يحملون السبحة وخاصة الحسن البصري، فعندما يسألوه عن ذلك قال أريد أن أذكر الله بقلبي وبيدي وبلساني.

وهؤلاء هم الخبراء بمعرفة الله سبحانه وتعالى يقول تعالى: (الرحمان فسئل به خبيرا).

فهذه الأذكار تثمر الصحبة الصادقة والمحبة والرحمة، فهم يتزاورون في الله يقول تعالى فيهم: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)، وقوله (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) ويقول تعالى:" والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم".

وفي الحديث الذي يرويه البخاري عن أنس بن مالك، (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه من سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار) رواه البخاري في صحيحه.

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) أن رجلا زار أخا له في قرية فأرصد الله على مدرجته ملكا، قال له أين تريد؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية قال ألك نعمة تريدها منه؟ قال: لا، ولكني أحببته في الله، قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه.

روى مسلم عن أنس أن أبا بكر وعمر اتفقا على زيارة أم أيمن لينفذا أمرا كان يقوم به الرسول (ﷺ) وهو أنه كان يزورها باستمرار فبدأت تبكي فقالوا لها ألا تعلمين أن ما عند الله وما خص به رسوله خير من هذه الدنيا، قالت ولكن الذي أبكاني هو انقطاع الوحي فهيجتهما على البكاء فبدأ يبكيان معها.

ويطمع أهل الذكر في المداومة عليه والاتصال بالطرق المؤدية إليه ولذلك كان رسول الله (ﷺ) يرغب في أن لايفارقه جبريل عليه السلام، فسأله عن ذلك فنزل قول الله تعالى (ومانتنزل إلا بأمر ربك).

ويوم القيامة ينادي الله "أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لاظل إلا ظلي".

روى مسلم والبخاري عن أبي هريرة وفي الصحيح عن معاذ بن جبل أن رسول الله (ﷺ) أخذ بيده وقال: (يامعاذ إني أحبك فلا تنس يامعاذ أن تقول وراء كل صلاة "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"الحديث، وروى الحافظ الذهبي أن النبي (ﷺ) قال: (أمرت بحب أربعة وأخبرني الله بحبهم وهو المقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، وأبا ذر الغفاري، وعلي بن أبي طالب)الحديث.

نفحة من نسماتهم

خليفة رسول الله

الصديق أبو بكر (رضي الله تعالى عنه)

■ إعداد الأستاذ : عبد الله كديرة

الحلقة الأولى

■ 1 . هو الصديق ، وهو عتيق ، وهو عبد الله ، بهذه الأسماء عرف في جاهليته وإسلامه ..هو الصديق لأنه كان يتولى جمع ديات القتلى من قبائل قريش ، فيصدقه الناس ويعطونه ما يريد بسماحة وعن طيب نفس وخاطر .. وهو أيضا الصديق لأنه كان يبادر إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في كل ما يقوله.. ويقول : إن كان قال فقد صدق..

وهو عتيق ، لما عرف به من جمال.. ولأنه مبشر من رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، بأن الله قد أعتقه من النار..

وهو عبد الله في جاهليته وإسلامه.. الإنسان المثقف بأنبل ما في ثقافة قومه، وبخيره ماهم عليه من أخلاق تواضعوا عليها واتفقوا.. يحفظ أنسابهم، ويرعى أحسابهم ، ويعرف لكل ذي قدر قدر... يعطف على الضعيف، ويرحم الصغير ، ويحترم الكبير، ولايذل للقوي ولا يخنع.

هو من قبيلة تيم بن مرة بن كعب ، إحدى قبائل قريش ، كان لها شأنها بين قبائل مكة، وبين قبائل العرب .. أبناؤها كانوا عند العرب مصابيح الظلام ، وذلك لبيت شعر جرى على ألسنة العرب ، مدحهم به امرؤ القيس بن حجر الكندي:

أقرحشا امرئ القيس بن حجر
بنو تيم مصابيح الظلام

إنسان موفق دمث ميسر وميسر له.. مارس التجارة بزازا يبيع الثياب، والتجارةمهنة أغلب أبناء مكة ، ولم تكن تجارته تزداد إلا ازدهارا ونماء ، ولم تكن تزيده إلا ثراء ورخاء، فهو الإنسان رضي الخلق، رقيق ، الطبع، الرزين، يملك شهوته ولا تملكه ، ويسيطر على هواه ، ولا يسيطر عليه هواه ، لم يشرب خمرا حياته ، حسن الحديث ، مألف لقومه ، محبب سهل ، يعرف أنساب قومه، ويعلم علم يقين طبائعهم ، ومافيهم من خير أو شر، يعزف عن أصنامهم ، ونوادي لهوهم ولكنه يرتاد مجالس أدبهم وأشعارهم ، وينتقي مجالس من اشتهروا بالحكمة، ومن محفوظاته التي كونت نسغ ثقافية في جاهليته، وأثرت الأثر الباقي في نفسه ، أقوال وأشعار سمعها من حكيم العرب قس بن ساعدة الإيادي في سوق عكاظ ، فاستقرت في قلبه وعقله ، ومنها : أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا .. إن من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت...

إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا.. مهاد موضوع، وسقف مرفوع ونجوم تمور ، وبحار لن تغور.. ليل داج ، وسماء ذات أبراج.. يقسم قس: إن الله لدينا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه.. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا؟

ومن أشعار قس بن ساعدة التي كان ينشدها ويتمثل بها:

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
يسعى الأكابر والأصاغر
أيقنت أني لامحا
لة حيث صار القوم صائر

كان يتبع المتحنفين الباحثين عن دين الحق والتوحيد وسط ركام الجاهلية وظلماتها ، وعلم ماقال الأولون منهم وحفظه واستوعبه، وأصبح جزءا من تكوينه العقلي والوجداني ، وقبلته واقتنعت به فطرته السوية.

لعله وهو من مثقفي قومه حفظ وفهم قول سويد بن عامر المصطلقي لقومه: إني ما رأيت شيئا قط خلق نفسه.. ولا رأيت موضوعا إلا مصنوعا، ولا جانيا إلا ذاهبا.. ولو كان الذي يميت الناس الداء ، لكان الذي يحييهم الدواء..

ولعله عرف أيضا وهو الحافظ الواعي لحكمة العرب وشعرها صيحة المتلمس بن أمية الكناني ، حين جهر فيهم وسط الكعبة: أطيعوني ترشدوا، لقد اتخذتم آلهة شتى ، وإن الله ربكم ورب ما تعبدون.

وإن زهير بن أبي سلمى ليعد من أقرب هؤلاء الباحثين عن الحقيقة إلى زمن أبي بكر، ولا شك أنه قد يكون سمع أنه طالما كان يمسك أوراق الشجر التي اخضرت بعد أن كانت ذبلت واصفرت ، وطريت بعد أن كانت قد صوحت وجفت، وجرى فيها نسغ الحياة بعد أن كانت قد يبست وهدمت، ثم يخاطبها: لولا أن يسبني العرب لآمنت أن الذي أحياك بعد حفاف ، سيحيي العظام وهو رميم...

وقد عايش من هؤلاء ورآهم وسمعهم ووعى عنهم: قس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل... وهذا الأخير كان أقربهم إلى قلبه، يكثر من ترديد قوله:

أربا واحدا أم ألف رب
أدينت إذا تقسمت الأمور؟

سمعه يوما يصدع بعقيدته الموحدة وقد أسند ظهره إلى الكعبة يخاطب الناس: يامعشر قريش ، والذي نفسي بيده ما أصبح منكم على دين إبراهيم غيري .. إني اتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل من بعده.. وإني لأنتظر نبيا من ولد إسماعيل..» وتهتز نفس أبي بكر للشارة ، ويتأجج شوقه للنبي المنتظر، ويرجو أن يدركه.. وقد رأى يوما يزيد بن عمرو بن نفيل يطوف حول البيت المعظم مع الطائفين، وطوافهم مكاء وتصدية وتلبية بالشريك .. أما زيد فيطوف ويلبي بما تمليه عليه فطرته السوية» لبيك حقا حقا ، تعبدا ورقا، عذت بما عاذ به إبراهيم:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت
على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا

ويؤمن أبو بكر بهذا الرب العظيم قلبا وعقلا.. ويرجو يوما أن يجد عند زيد بن عمرو بن نفيل زيادة خير ويقين .. ولكنه يفاجأ به يوما يقول ولوعة الشك تضنيه:» اللهم لو أعلم أي الوجوه أحب إليك لعبدتك به ، ولكني لا أعلمه.

أين الحقيقة إذن ؟! وعند من ستوجد ؟! وتتلهف النفس التواقة، ويلتهب فيها الحنين .. ويتوقد في جوانح الصديق شوق عارم إلى صديق يجد عنده مزيدا من علم ويقين.

2 . من هو هذا الصديق ؟ إنه هو محمد الأمين ، إلف النفس ، وصنو الروح، ورفيق البحث المضني عن الحق.. الصديق والحار.. محمد، صادق أمين غير فحاش ولا صخاب ولا لعان.. أبو بكر ، مشهور في قومه بنفس المزايا على اختلاف في الدرجة بين من يكون نبيا مرسلا، ومن يكو ن صديقا..

كان في جاهليته يصون مروءة .. سئل لم كان يتجنب الخمر في الجاهلية، وقد كان قومه آنذاك يشربونها بإفراط ويتفاخرون بذلك؟ فأجاب :» كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعا لعقله ومروءته، وهل يصادق محمد شارب خمر!؟

كان يستحيي أن يقول فحشا أو يفعله.. ومحمد كان أشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا سمع ما لايرضي ويرضى من القول كان ذلك يظهر على وجهه . فهل يصادق محمد فاحشا متفحشا!؟

كان ضامن ديات قومه.. وكانوا يقبلون ضمانه ويرفضون ضمان غيره ،لصدقه وأمانته.. ومحمد كان أمين قريش وصادقها ومستودع ودائعها وحكمها في الملمات .. فهل يصادق محمد خائنا أو ماينا؟!

كان ذكيا فطنا لماحا، وقد لقبه قومه مع صديقه أبي عبيدة بن الجراح بأنهما :(داهيتا قريش) .. ولم يكن محمد ليصادق فدماً فسلاً غبيا، وهو الفطن الذكي الأريب.. ولم يكن ذكاء أبي بكر إلا جزءا يسيرا من ذكاء محمد ومنحة من فضله وعطائه بعد فضل الله تعالى وعطائه. أليس هو القائل بعد إكرام الله تعالى له بالرسالة والنبوة صلى الله عليه وآله وسلم:» كأني أعطيت عسا مملوءا لبنا فشربت منه حتى امتلأت ، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم ،ففضلت منها فضلة فأعطيتها أبا بكر، قالوا : يارسول الله، هذا علم أعطاكه الله، حتى إذا امتلأت فضلت فضلة أعطيتها أبا بكر. قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:» أصبتم، تلك شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصديقه (الصديق) قبل الإسلام وبعده بالقول والفعل.. شهادة القول أوردنا منها حديث فضلة العلم .. وشهادة نسبة الصديق لصديقه أوردنا منها بعض الشيم.

3 . كيف ألف الصديق صديقه؟ كان أبو بكر جار لخديجة بنت خويلد، وقد غدت هذه الإنسانة العظيمة والمرأة الكريمة زوجا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.. والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وماتنافر منها اختلف، وقد ربط بين الرجلين الحوار، ووحد بينهما تشابه الشيم وتناسب الخصال، وتقارب الطبائع وتعارف الأرواح وتآلفها، ووثق بينهما انشغالهما بنفس المهنة، أي التجارة ، بعد أن أصبح محمد عام الفيل، وولد أبو بكر بعده بسنتين ، فهما من جيل واحد .. ومحمد يعرض عن جاهلية قومه.. وأبو بكر كذلك .. إلا أن محمد يحب العزلة ويفضل الانقطاع عن الناس ما أمكنه، أما أبو بكر فيخالط قومه ما أمكن ، محمد يعتزل بطبعه وحماية من الله له، لأنه يعده على عينه للرسالة الخاتمة التي تزكي وتطهر.. وأبو بكر يخالط لأنه بطبعه طلعة، يحب أن يتعلم من الحياة وتجاربها ..ولذلك كان محمد في كل حين هادئا واثقا راسخا ساكنا.. ولذلك أيضا كان أبو بكر حاد الطبع حذرا..

4 . كيف ربى الصديق صديقه؟ بعث الله رسوله.. وأمره بالإنذار، وتطهير الثوب كناية عن تطهير النفس والقلب والمكان ومن يعيش فيه معه، ممن يلابسونه ويخالطونه ويعاشرونه أو يلقونه.. وأمره بهجران الرجز المادي والمعنوي .. وأن يصبر لربه ويتحمل مشاق الدعوة إلى الله .. ومن أوائل الأحبة الذين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصادق الصديق أبو بكر . فما أسرع ما أجاب ولبى وصدق .. فقد وجدت دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هوى في نفسه.. لقد كان ينتظرها على أحر من الجمر.. هاهو النبي من خيار بني إسماعيل قد بعث .. هاهي بشارة زيد بن عمر بن نفيل قد تحققت.. وفيمن تحققت؟ في أنسب قريش وأشرفهم، في أطهرهم وأزكاهم ، في أصدقهم وآمنهم، فيمن اختارته قريش ليكون الحكم الذي يحقن الدماء ويحول دون سفكها في أحلك أيام قريش وأصعب مواقفها، يوم تمت إعادة بناء الكعبة وترميم البيت المعظم، ولم يبق إلا وضع الحجر الأسود في مكانه ، فتنافست القبائل القريشية على هذا الشرف، كل يريد الاستئثار به دون الآخرين.. وعقدت الأحلاف ونجم قرن الشيطان ، وغمس الناس أيديهم في جفان الدم إيذانا بالرغبة في سفكه.ويصيح حكيم من القوم ينادي بتحكيم أول داخل إلى البيت في هذه اللحظة الحرجة الحاسمة ، فما أن رأى القوم هذا الداخل الأول حتى تهللت وجوههم بشرا وحبورا ، وهتفوا : هذا محمد الأمين، رضينا به حكما.. وأمر الحكم المرتضى بإحضار إزار، وضع بيده عليه الحجر الأسود في وسطه، ثم أمر منتدب كل قبيلة بأن يأخذ بطرف من الإزار ، ويحملوه على مَلإ من القوم ويرضاهم .. هذا الرجل نبي ورسول حقا، وإن يقل ما يقول فلن يقول إلا حقا.. وتمتنت صداقة الحبيبين برابطة الإيمان.. وشارك أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة إلى الله لا يخشى لومة لائم ولاسطوة جبار ظالم ، وكان له من دماثة خلقه وحسن معشره وحب القوم له، ومن علمه بنفسياتهم وأنسابهم ما يسرع باستجابة خيارهم للدخول في دين الله.

(يتبع)

أولوا العزم من الرسل

■ الأستاذة: نبوية الناصري

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا)
صدق الله العظيم

في غار حراء:

على مسافة تقارب الميلين من مكة كان محمد . صلى الله عليه وسلم . يجد في سكون غار حراء فسحة للتفكير والتأمل، ولا يحظى بها في مكة الصاخبة، فكان يقيم فيه شهر رمضان، يطالع كتاب الله المنشور في الكون باتساعه، ويقضي وقته في عبادة هذا الكون، الذي رأى قدرته، وتاقت نفسه لمعرفة صفاته وأحكامه، حتى صفت نفسه، وزكا فؤاده، وأصبح مستعدا لاتصاله بعالم الغيوب، فكانت الرؤيا . إحدى أجزاء النبوة . تأتيه فيجدها تجيء كفلق الصبح، واستمر على ذلك ماينا هز الشهور الستة، حتى كان نزول جبريل عليه بالغار في رمضان، بعد أن تجاوز النبي . صلى الله عليه وسلم . الأربعين من عمره.

نزول جبريل عليه السلام:

في إحدى الليالي الوترية بالعشر الأواخر من رمضان، وقد أتم النبي . صلى الله عليه وسلم . الأربعين من عمره، كانت الدنيا حيرى في ظلمات الجاهلية المشتاقة إلى نور الله، قد استعدت لاستقبال رسول رب العالمين، الأمين جبريل . عليه السلام .، أما محمد . صلى الله عليه وسلم . المتحنث في غاره بغية الحق، فقد أصابه الفزع لنزول جبريل، وارتعد فؤاده لمجيئه، وضاعف من اضطرابه . صلى الله عليه وسلم . سؤال جبريل له أن يقرأ، وهو الرجل الأمي، أما جبريل . عليه السلام . فإنه بعد أن أعاد محمد قوله: ما أنا بقارئ للمرة الثالثة فقد قام بإبلاغه أولى كلمات رب العالمين المرسلة إلى خاتم المرسلين . عليهم الصلاة والسلام .:

"اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم" سورة العلق/الآيات:من 5.1.

فرجع بها . عليه الصلاة والسلام . يرجف فؤاده مما ألم به من الروع الذي استلزمه مقابلة الملك لأول مرة، فدخل على خديجة زوجه فقال: زملوني، زملوني، لتزول عنه هذه القشعريرة. فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة . واخبرها الخبر: (لقد خشيت على نفسي) لأن الملك غطه حتى كاد يموت، ولم يكن له . عليه الصلاة والسلام . علم قبل ذلك بجبريل ولابشكله .فقالت:

كلا، والله مايخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فلا يسلط الله عليه الشياطين أو الأوهام، ولامراء أن الله اختارك لهداية قومك.

ولتتأكد خديجة مما ظنته أرادت أن تتثبت ممن لهم علم بحال، الرسل ممن اطلعوا على كتب الأقدمين فانطلقت به حتى أتت (ورقة بن نوفل ابن عم خديجة) وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى، فقالت له خديجة:

يابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال: يابن أخي ما ترى؟فأخبره . عليه الصلاة والسلام . خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى (لأنه يعرف أن رسول الله إلى أنبيائه هو جبرائيل) ثم قال: ياليتني فيها جذعا (شابا جلدا) إذ يخرجك قومك . من بلادك التي نشأت بها لمعاداتهم إياك وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم. فاستغرب . عليه السلام . مانسب لقومه مع مايعلمه من حبهم له، لاتصافه بمكارم الأخلاق وصدق القول، حتى سموه (الأمين) وقال: أو مخرجي هم"قال: لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي. وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى في سورة إبراهيم: (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) سورة إبراهيم/الآية:16، ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الأكرم . عليه الصلاة والسلام . قال: وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا (معضدا).

ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى شق ذلك على رسول الله ٠ص) فأحزنه فأتاه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه الذي أكرمه بما أكرمه أنه ما ودعه وما قلاه فقال تعالى : (والضحى والليل إذا سجى، ماودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيما فآوى. ووجدك ضالا فهدى. ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث) فأخذ رسول الله (ﷺ) يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا وإلى من يطمئن إليه من أهله.

عودة الوحي:

علم محمد . صلى الله عليه وسلم . أنه نبي! وانتظر الوحي، ولعل تشوقه إليه كان ضروريا لاحتماله عند اللقاء، وبينما النبي . صلى الله عليه وسلم . ذات يوم يمشي إذ رفع بصره إلى السماء فرأى جبريل قاعدا على كرسي بين السماء والأرض، فهوى النبي . صلى الله عليه وسلم . على الأرض فرقا، وجاء خديجة يرتعش مرددا:دثروني ، دثروني فأنزل الله تعالى عليه: (ياأيها المدثر قم فأنذر) حذر الناس من عذاب الله إن لم يرجعوا عن غيهم وما كان يعبد أباؤهم (وربك فكبر) خصه بالتعظيم ولاتشرك معه في ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون مستعدا للوقوف بين يدي الله إذ لايليق بالمؤمن أن يكون مستقذرا نجسا (والرجز فاهجر) أي أهجر أسباب الرجز وهو العذاب بأن تطيع الله وتنفذ أمره (ولاتمنن تستكثر) ولاتهب أحدا هبة وأنت تطمع أن تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبت، فهذا ليس من شأن الكرام (ولربك فاصبر) على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم إلى الله.

الدعوة سرا:

لو أن محمدا . صلى الله عليه وسلم . قد بدأ دعوته من قرية سوى مكة، لكان الأمر أهون وأيسر، لكنه بدأها من معقل الوثنية، وعرين سدنتها، والقوم لهم هيبتهم الاجتماعية بين العرب، ومصالحهم المالية، ونظام حياتهم. كل ذلك لايقوم إلا على معتقدهم الزائف ودينهم المحرف فكان من الحكمة إذن أن يتكتم النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . في البدء دعوته، ويحمي صحابته، حتى يتدبر أمره، وقد آمن له منذ أن بدأ دعوته، والى حين نزول أمر ربه بالجهر بها في مدة قدرها ثلاث سنوات . آمن له من الرعيل الأول ما يقارب الستين نفسا . وقد عرفت قريش أن دينا جديدا يولد بين ظهرانيها، ولكن لم تأبه له، فليعتزل محمد ومن شاء معه عبادة الأصنام، ولايسجدون لها، فإن أوضاع قريش الاقتصادية والاجتماعية أهم من أن يرفض أحد دينهم، ما اعتزلهم وتركهم لشؤونهم يدبرونها لايعلم من أمرهم شيء، وهم يخالطون قريشا في أنديتها وأسواقها، ولايتعرضون لقومهم بنقد أو مخالفة، بل يجلسون إلى النبي . صلى الله عليه وسلم . يتعلمون منه أمور دينهم، ثم يختلون بأنفسهم بعيدا عن عيون مكة، ليؤدوا الصلاة.

عن أدران الجاهلية، وحماقاتها المتعددة، ومساوئها المختلفة، نأى محمد . صلى الله عليه وسلم . وابتعد، ليس بروحه الطاهرة فحسب، بل بجسده أيضا . إذ كان يمكث الليالي ذوات العدد في غار حراء متعبدا لربه ومتقربا . ودون تأهب منه أو توقع، فوجيء . صلى الله عليه وسلم . بنزول الوحي إليه، وتبليغه برسالات ربه. وما كان على النبي الأمين . صلى الله عليه وسلم .، إلا أن يبلغ النور الذي يحمله إلى الناس من حوله، فظل يبلغ الدعوة سرا طوال ثلاثة أعوام، ينتقي من يلتمس فيه صلاحا، فيسمعه القرآن المنزل عليه، ويجمعه مع إخوانه الذين سبقوه لدين الله منتظرا ومتهيئا نزول أمر الله بالجهر بدعوته.

خواطر وخواطر

■ محمد الخضر الريسوني

انزلاقات خطيرة عن الإسلام في مؤتمر القاهرة للمثقفين

■ في الوقت الذي ترتفع فيه كلمة" الله أكبر" وصوت الأذان في المسجدالجديد بحي " البساتين" في قرطبة بالأندلس بإسبانيا، وفي الوقت الذي يشاهد فيه العالم الغربي والولايات المتحدة إقبالا جماهيريا على اعتناق الاسلام، في هذا الوقت بالذات يتعرض الاسلام إلى هجمة شرسة من طرف الحاقدين عليه واعتباره دينا"إرهابيا" مع أن نصوص القرآن والسنة تؤكد بأن الاسلام دين السلام، والقرآن هو القائل: وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، وقوله " لا إكراه في الدين" وهو القائل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، وقد طالعتنا بعض الصحف بحديثها عن انعقاد ندوات دراسية تحت شعار : جذور العنف في الخطاب الاسلامي ،وفي إحدى المداخلات ارتفع صوت مشارك معلنا أن هناك مدخلين في التراث الكلاسيكي الإسلامي تم عبرهما تسويق العنف، مدخل مفهوم الجهاد ومدخل الأمر عن المنكر والأمر بالمعروف، وحبذا لو كان التعبير سليما متطابقا مع نص القرآن ودار كلام ونقاش في القدرة بكون الإصلاح الديني لمن يقوم اليوم إلا بعلم جديد، وبفلسفة دينية جديدة يقيم بها المسلمون اليوم تصورهم للإسلام وكيفية فهمه ، لا أدري ماذا تعني هذه الكلمات الغريبة؟ فما هو هذا العلم الجديد والفلسفة الدينية أيكون قصدهم الابتعاد عن القرآن والسنة؟

والرسول عليه الصلاة والسلام هو القائل؟ " تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك، وأي سلام آخر أعظم وأفيد مما جاء به القرآن.

وفي عاصمة الكنانة بالقاهرة انعقد مؤتمر تحت عنوان " نحو خطاب ثقافي عربي جديد" عقدته وزارة الثقافة، دعا المشاركون في أعماله إلى إلغاء الحلال والحرام، وحصر أحكام القرآن في حدود أسباب النزول وتفكيك المؤسسات الدينية كالأزهر ودار الإفتاء وابدالها ، بمؤسسات أهلية، والغاء النص الدستوري على أن الإسلام دين الدولة والقضاء على التعليم الديني الذي وصفوه بالظلامي ، وعن هذا التعليم قال كاتب تونسي : ان هذا التعليم يقوم على مخالفة الكفار وعدم ممارسة ما يفعلونه كله من عادات وتقاليد وعلوم وبحث ، ياترى هل يعني هذا الكاتب أن يبدأ المسلمون في إطلاق غرائزهم والغوص في الفحش والهوس الجنسي والشذوذ باعتبارها في رأيه عادات يجب أن تتبع ، ولاحظ أستاذ فلسفة بجامعة حلوان بأن الخطاب الذي المعاصر من هو بضرورته، يسعى إلى احتكار الإصلاح عن طريق تثبيت أحادية المرجعية الفكرية فلا ينتج إلا قهرا فكريا وجدبا معرفيا. فماذا يعنيه أستاذ الفلسفة من كلامه وهو يعلم ان اليهود بنوا دولتهم فوق أرض فلسطين المغتصبة على أساس " مرجعيتهم الفكرية " التي يسهر على حمايتها والدفاع عنها زعيمهم شارون ، وزعمت إحدى المشاركات بأن الأزمة في تعدد الخطابات وتقديس بعض الحقب في التاريخ الإسلامي وخاصة الصدر الأول للإسلام ، فهل معنى كلامها أن على المسلمين ان يقطعوا صلتهم بتلك الحقب والأمجاد التي عرفها صدر الاسلام؟ فكيف هداها بحثها إلى هذا الكلام المؤسف؟ وانبرى مشارك من السودان إلى القول بأن أزمة الخطاب الإسلامي تتجلى في اعترافه بالهزيمة والانحطاط.

وهكذا دارت وقائع مؤتمر الثقافة العربية بمشاركة مجموعة من المثقفين العرب ومروا مرور الكرام على ما يحدث قريبا منهم من عدوان على العراق ، وما يرتكبه الصهاينة من قتل ودمار في فلسطين واعتزامهم جعل القدس عاصمة أبدية لهم، وهم يدركون أو يتجاهلون بأن كلمة " الله أكبر" التي صاح بها الجنود المصريون كانت الشحنة الإسلامية التي مكنتهم من تحرير سيناء، وهذه الشحنة نفسها هي التي حررت جنوب لبنان ، وبها اليوم يقاوم شعب فلسطين لتحرير أرضه، وبالكلمة نفسها يقاوم الشعب العراقي لطرد الغزاة من أرضه.

إنه لمن المؤسف حقا أن يتجاهل المثقفون دور الإسلام السمح الذي جاء مبشرا وهاديا " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين"/

الإسلام ياقوم ياأيها المثقفون. دين السلام لا علاقة له إطلاقا بالإرهاب ، كما ثبت ذلك بنصوص الكتاب والسنة.

المثاني اللغوية المجهولة شطورها

■ إعداد الأستاذ: أحمد باكو

السودان والبيضان

هذان اللفظان من الصيغ المشتقة من مادة السواد والبياض. وفعلهما اسْودَّ يسْودّ بمعنى صار أسود. وأبيض يبيض(على وزن اشتد فيها) بمعنى صار أبيض ولم تسجل المعجم ثلاثيا له.

ولفظ (السودان) يطلق فيراد به الجيل الأسود من الناس. وعلى العكس من ذلك فإن البيضان بكسر الباء يراد به الطائفة البيضاء منهم.

وكما هو واضح فإن المشهور هو السودان الذي استعمل قديما في معناه هذا، كما نجده في بعض كتب التراث التاريخية وغيرها، غير أنه لا يكاد يستعمل في الكتابات الحديثة ، لاسيما بعد أن أصبحت الكلمة ، عنوانا لدولة عربية إسلامية معروفة، فصارت لا تكاد تذكر إلا للدلالة عليها.

وأما البيضان فإنه نادر لورود في معناه المذكور على ما يبدو لي، حتى في الكتب التراثية، وإن كان هذا لايعني أنه مهجور بالإطلاق ، بدليل أن هناك من الأدباء القدماء من نبه إليه، وإلى معناه ، الذي يفيد أنه قسيم للفظ السودان، ويؤلف معه ثنائيا مشتقا من السواد والبياض ، للدلالة على هذا المعنى الطبيعي الذي ينقسم به الناس من حيث لونهم إلى السواد والبياض ، كما ينقسم الزمان إلى ليل ونهار.

الدرجة والدركة

هذا ثنائي مهم جدير بإدراجه ضمن هذه المجموعة للتنبيه إلى ما يعطيه في ميدان الاصطلاحات العلمية، من دلالات دقيقة تزيد في إغناء قاموس الألفاظ التقنية أو الحضارية.

والدرجة معلومة ومستعملة كثيرا في الدلالة على معناها وهو الطبقة والرتبة أو المنزلة . ولها عدة دلالات اصطلاحية في الهندسة والرياضيات وغيرها.. وتجمع على درج) بفتحين . وفعلها درج يدرج (بفتح فضم أو كسر) ، بمعنى رقي في الدرج ولها معان أخرى.

والمعنى المتداول للدرجة، هو أنها الوحدة التي تتألف منها أداة الصعود في السلاليم بوجه عام، المصنوعة من الخشب والحديد أو المبنية بالحجر.

وأما الدركة فهي بمعنى الدرجة، ولكن في الدلالة على النزول لا الصعود، فكما يصعد الانسان إلى الأعلى عن طريق الدرجة والدرج، ينزل إلى الأسفل عن طريقة الدركة والدركات (في الحقيقة والمجاز كذلك).

ونحن في الاستعمال نستغني عن

الحلقة الرابعة

الدركة بالدرجة التي نستعملها في الحالين معا.

ولذا كانت خاملة مطوية عن الذكر، والحال أنها مطلوبة لما تعطيه من دقة تزيد في قيمة التعبير.

ويتجلى هذا بالخصوص في اللغة العلمية أو الاصطلاحية، في المقامات أو السياقات التي تستدعي التقسيم والترتيب ، والدلالة على الوحدات القياسية في الهندسة والرياضيات والتوقيت ، وقياس الحرارة والبرودة.

ففي مجال قياس الحرارة والبرودة مثلا ، كان ينبغي استعمال الدركة بجانب الدرجة ، للدلالة على حالة الحرارة عند انخفاضها إلى ماتحت الصفر، فنقول دركة واحدة(أو اثنتان أو ثلاث) بدلا من درجة تحت الصفر وغير ذلك ، لأننا هنا إزاء هبوط لا صعود ، وإزاء انخفاظ لا ارتفاع . والكلمة تعطينا بهذا فائدة مهمة ، هي الإيجاز المطلوب في اللغة العلمية بالخصوص ، لأننا حين نقول مثلا (ثماني دركات) نستغني بهذا عن جملة طويلة هي ثماني درجات تحت الصفر.

الأصلع والأفرع

من العوارض المرضية التي تصيب الإنسان في خلقته ، وفي شعر رأسه بالذات أن يفقده لعدة أمراض، أشهرها الصلع (بفتحتين). وفعله صلع يصلع (بكسر ففتح) وبه ينسل شعر الرأس شيئا فشيئا ، حتى يزول كليا أو جزئيا وينعث المصاب حينئذ ، بأنه أصلع كما هو معروف ومشهور.

ولكن من غير المعروف وغير المشهور ، أن لهذه الكلمة قرينا مضادا، أو مرادفا مكملا يعني العكس، حين يكون الانسان سوىً الشعر، ناجيا من الصلع وغيره من الآفات الجلدية التي تنسخه أو تكشطه وهي الأفرع (بالفاء) على وزن أفعل كالأصلع.

وفعل الكلمة هو فرع يفرع (بالكسر والفتح أيضا) بمعنى كثر شعر، فهو أفرع. والكلمة خاملة غير متداولة، ولا نجدها إلا في بعض المراجع الخاصة، ومنها مراجع فقه التوثيق ، عند الحديث عن الأوصاف أو النعوت أو الشيات التي يجب استعمالها للتعريف بأشخاص الوثيقة من الشهود وغيرهم.

فنجد الشخص منعوتا بأنه أصلع أو أقرع (بالقاف) أو أفرع (بالفاء) في حالة العكس أو أغم (إذا تجاوز شعر الرأس الناصية إلى الجبهة) وغير ذلك من الأوصاف وهي كثيرة.

وبهذا يكون الأصلع (وكذا الأقرع) والأفرع ثنائيا آخر متكاملا ، أحد شطريه خامل مغمور، يجدر بنا الانتباه إليه لاستعماله عند الحاجة.

إصدار جديد

■ صدر عن جمعية الإمام البخاري التي يرأسها العلامة الدكتور يوسف الكتاني العدد الثاني من « مجلة السنة النبوية » وهو عدد خاص عن الإمام مالك وموطئه في حجم كبير قاربت صفحاته الخمس مائة.

وقد ارتآى مدير المجلة ورئيس تحريرها تقسيم الأبحاث المدرجة فيها إلى ثلاثة أقسام: «قسم يتعلق بالإمام مالك، وقسم ثالث يتعلق بالموطأ، وما تعلق بالشروح المنجزة حوله » وقد ساهم في انجاز هذه البحوث القيمة حوالي ستة عشر باحثا.

واللافت للانتباه هو أن تتناول هذه البحوث، إمام المذهب المالك الذي هو مذهب المغاربة، في هذه الفترة التي كثر فيها الحديث عن تسرب مذاهب أخرى إلى بلادنا، وقيام البعض بالحديث عن المذهب المالكي والقول فيه بغيرعلم ولا دراية ، لذلك نرى بأن بحوث المجلة ستساهم ولاشك في التعريف بالمذهب وصاحبه ومؤلفاته.

ففيما يتعلق بالإمام فقد وصفه الأستاذ إدريس خرشاف في بحثه المعنون « الإمام مالك رائد البحث الحديثي في زمانه » استنادا إلى ثلاثة قضايا هي:

1. إلتزامه بمبدإ الانتقاء في مرحلة التحصيل العلمي.
2. اختياره منهج « القراءة »
3. رفضه أسلوب الإجبار في طلب العلم.

وهذه المسالك طبعت منهجه، فأدت به كما يوضح ذلك بحث الأستاذ عبد الكريم عكيوي إلى الاحتياط والتثبت ومراعاة التخصص ، ومراعاة الخلاف والتزام آدابه وضوابطه، واعتبار الغايات والحكم والمقاصد، ثم اعتبار مآلات الأحكام، والأفعال والتصرفات ، وهذا ما يحتاج إليه لحل معضلات الفكر الإسلامي المعاصر حسب الباحث ولإعطاء المزيد من الإيضاح، حول أصول فقه الإمام يرى الأستاذ محمد المختار ولد باه أن المؤلفين الذين اعتنوا بأصول الفقه في القرون الأولى قلما نجد منهم من ينتمي إلى المذهب المالكي باستثناء القاضي عبد الوهاب وأبي الوليد الباجي، اللذين لم تنشر كتبهما في الأصول نشرا كافيا ومؤلفوا المالكية لم يؤسسوا منهجا مستقلا وإنما لخصوا ما كتبه من قبلهم دون أن يرسموا طريق جديدة، فمختصر ابن الحاجب الأصلي وتنقيح القرافي ينظر إليهما كمختصرات لمحصول الرازي وأحكام الآمدي (ص 170) مما جعل الأثر أكثر معتمد المالكية(ص 171).وقد أدى اهتمام المستشرقين بالشعوب الإسلامية إلى الإقبال على دراسة التراث المالكي خاصة في إفريقيا والجزء الشمالي منها خاصة، حيث ظهر أعلام المذهب في المغرب والأندلس ، كما يشير ذلك الأستاذ عبد الرزاق هرماس في بحثه الإمام مالك حياته ومذهبه في تأليف المستشرقين، أما مدير المجلة الدكتور الكتاني فقد تناول في بحثه عمل أهل المدينة مظهر اجتهاد مالك وعبقريته إلا أن الإمام مالك عندما اتخذ عمل أهل المدينة أصلا من أصول مذهبه، إنما كان يصدر على قاعدة، وهي أنه يتوسع في باب الحياة والعادة، ويتشدد في باب الطاعة والعبادة(ص 307).

لقد جاءت المجلة حافلة بالأبحاث القيمة اغنت المكتبة الإسلامية عامة والمغربية خاصة في مجال هي في حاجة إليه الا وهو إبراز مذهب المغاربة مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه.

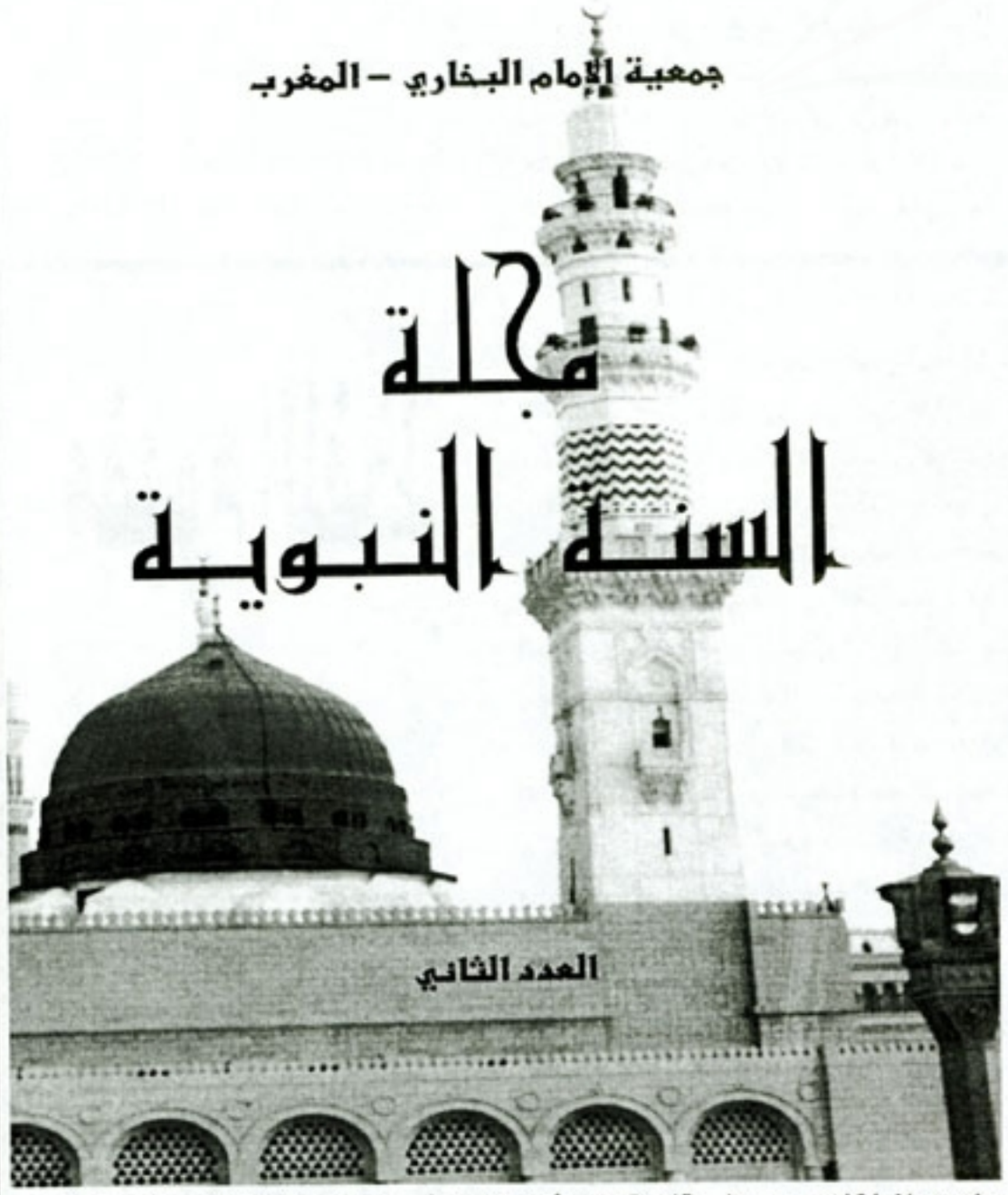

الصلاة على الجنازة

■ إعداد الفقيه الاستاذ: محمد بن لحسن الحسني

الحلقة الأولى

فرائضها

1 . النية بأن يقصد الصلاة على هذا الميت ، ولا يشترط معرفة كونه ذكرا أو أنثى ولا يضر اعتقاد أن الميت ذكر فتبين أنه أنثى، أو العكس.(لأن المقصود هو الميت أو الجنازة).

2 . أربع تكبيرات : لاأقل ولا أكثر، ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كبر في آخر صلاة على جنازة أربعا. وهو جنازة النجاشي سنة تسع هجرية ، وروى البيهقي أن عمر رضي الله عنه شاور الصحابة فأجمعوا على إقرار أربع تكبيرات ، وبقي عليه العمل. فإن زاد الإمام خامسا عمدا أو سهوا ، فللمأمومين أن ينتظروه حتى يسلموا معه، ولهم أن يسلموا قبله وصحت الصلاة له ولهم ، وإن نقص عن الأربع سبحوا له ، فإن رجع وكبر الرابعة كبروا معه وسلموا بسلامه وإن لم يرجع كبروا لأنفسهم وسلموا وصحت لهم على الراجح.

3 . الدعاء للميت بين التكبيرات لما تيسر، ولو بقوله : « اللهم اغفر له وارحمه...» وله أن يدعو بعد التكبيرة الرابعة، وله أن لا يدعو ويسلم، فإن لم يدع للميت أصلا أعاد الصلاة، إن لم تدفن الجنازة، فإن دفنت فلا إعادة ، وكذلك إذا سلم بعد ثلاث تكبيرات عمدا أو سهوا وطال الزمن يعيد الصلاة إن لم تدفن الجنازة.

4 تسليمة واحدة يجهر بها الإمام بقدر التسميع فقط، ويندب لغير الإمام إسرارها.

5 . القيام لصلاة الجنازة لمن كان قادرا على القيام.

مسائل

وقت صلاة الجنازة ومكانها: جاء في الموطأ (ص 177) أن زينب بنت أبي سلمة توفيت رضي الله عنهما فأتي بجنازتها بعد صلاة الصبح، فوضعت بالبقيع.. فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأهلها: إما أن تصلوا على جنازتكم الآن. وإما أن تتركوها حتى ترتفع الشمس.

وعن ابن عمر كذلك رضي الله عنهما قال:(يصلى على الجنازة بعد العصر وبعد الصبح إذا صليتا لوقتهما) الموطأ:177

كما لا يضر إن دعا على أنه ذكر فتبين إنه أنثى والعكس، كذلك لايضر إن دعا على أنه فلان فتبين أنه غيره، كذلك لايضر إذا معتقد أن في النعش اثنين أو أكثر. فتبين أنه واحد بخلاف العكس: فإن دعا لواحد غير معين ، فتبين أن في النعش اثنين أو أكثر، فإن الصلاة تعاد على الجميع، فإن نوى واحد بعينه ثم تبين أن معه غيره أعيدت على غير المعين.

❖ إن سلم الإمام من ثلاث تكبيرات ناسيا ثم أراد أن يعود للصلاة ليزيد التكبيرة الرابعة، رجع بالنية فقط ، ولا يزيد تكبيرة للرجوع مع الرابعة، ليلا تصير خمسا.(أبو الحسن ص: 174).

إذا جاء المسبوق ليدخل الصلاة على الجنازة مع الإمام بعد ما سبقه الإمام ببعض التكبيرات، فعليه أن ينتظر الإمام حتى يكبر فيكبر معه، ولا يكبر حال الدعاء، فإن كبر حال الدعاء فلا يعتد بها. فإن سلم الإمام ، زاد المأموم ما بقي عليه من التكبيرات مع الدعاء ، إن بقيت الجنازة أمامه ، فإن رفعت تابع التكبير وسلم.

❖ يجوز جمع الجنائز بلا ضرورة ، بل هو أفضل لبركة بعضهم ، ويقدم إلى جهة الإمام الرجل ثم الصبي، ثم الخنثى ثم الحرة ، ثم العبد ، ثم الأمة.

ما يندب في صلاة الجنازة:

1 . رفع اليدين حذو المنكبين عند التكبيرة الأولى فقط.

2 . وضع اليمنى على اليسرى (الترمذي).

3 . ابتداء الدعاء بحمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الحمد لله الذي أمات وأحيا، والحمد لله الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك، كان يشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك، وأنت أعلم به ، اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه ، وإن مسئيا فتجاوز عن سيئاته ، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده... قال في أسهل المدارك(ص 122ج:1) من الورع الخروج من الخلاف بقراءة البسملة والفاتحة في صلاة الجنازة بعد إحدى التكبيرات ، لكن مع شيء من الدعاء، لتصير الصلاة صحيحة باتفاق لأن الدعاء عندنا ركن.

وإن كانت امرأة قال:(اللهم إنها أمتك وبنت عبدك وبنت أمتك:، كانت تشهد...) وإن كان رجلين قال: (اللهم إنهما عبداك وابنا عبديك ، وابنا أمتيك.. كانا يشهدان ...) وإن كانوا رجالا قال: (اللهم إنهم عبيدك وأنباء عبيدك وأبناء إمامتك كانوا يشهدون) . وإن كانتا امرأتين قال : (إنهما أمتاك وبنتا عبديك، وبنتا أمتيك كانتا تشهدان...) وإن كن نساء قال: (اللهم إنهن إماؤك وبنات عبيدك وبنات إمائك كن يشهدن..)وإن كانوا مختلطين دعا بالتذكير، وإن كان صبيا قال: (اللهم اجعله لوالديه سلفا وذخرا...) المنهاج 278.

4 . إسرار الدعاء.

5 . وقوف الإمام وسط الميت الذكر وحذو منكبي الأنثى والخنثى جاعلا رأس الميت عن يمينه ، إلا في الروضة الشريفة، فيجعل رأسه على يسار الإمام تجاه رأس النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا أوصى الميت لأحد أن يصلي عليه فهو أولى، وإن لم يوص فالخليفة أو نائبه، ثم الأقرب فالأقرب من عصبة الميت. فيقدم الإبن، فابن الإبن، فالأب ، فالأخ، فابن الأخ، فالجد، فالعم، فابنه... ويقدم الشقيق على غيره ويقدم الأفضل عند التساوي، فإن لم يكن رجال تصلي النسوة دفعة واحدة في آن واحد أفذاذا والعصبة أولى بالصلاة على المرأة من زوجها، وزوجها أحق بالدخول معها في قبرها، كما هو مقدم في تغسيلها.

■ يراجع في: منهاج الواردين ص286 وما بعدها

مفهوم اللفظ وصلته بالمعنى عند الأصوليين

■ إعداد الأستاذ: عبد الحميد العلمي

■ لقد عرفت الأبحاث اللغوية تطورا ملحوظا على أيدي الأصوليين لأن موقعهم في البناء العام للثقافة الإسلامية اتسم بخصوصية متميزة ، إذ على عاتقهم وكل أمر التعريف بالقانون العام لاستثمار الأحكام.

وبحكم عربية هذه الشريعة المباركة، وبحكم نزولها وفق مقاصد العرب في مجاري خطابها، وعاداتها في تصريف أساليبها فإنه وجب على من رام الانتساب إلى هذا العلم والانخراط في سلك أهله المتحققين به أن يكون ريانا من علوم العربية عارفا بأسرارها ضابطا لقواعدها ، لأن بها نفهم عن الله أصول الأحكام ، وبسببها نميز بين الحلال والحرام.

ومن ثم تنامى وعيهم بضرورة امتلاك ناصيتها ، وتزايدت رغبتهم لبلوغ مكانة الريادة فيها فكان أن كتب الله لهم أمر المشاركة في بحث مسائلها ومعالجة قضاياها بما أوتوه من حصافة الفهم وجودة القريحة ورصانة المنهج ، الشيء الذي جعلهم جديرين باستحقاق إعجاب المهتمين، ولفت انتباه المتخصصين . وكان من نتائج هذا الإعجاب وذلك اللفت: إقبال الرواد من القدامى والمحدثين على أعمالهم ، والأخذ بما توصلوا إليه في صنعتهم مفيدين ومشيدين.

فهذا عبد الملك الجويني(ت 478 هـ) ينص في برهانه على أن عناية الأصوليين بالجوانب اللغوية فاقت ما هو مقرر عند غيرهم لأنهم " اعتنوا في فنهم بما أغفله أئمة العربية ، واشتد اعتناؤهم بذكر ما اجتمع فيه إغفال أئمة اللسان وظهور مقصد الشرع.

كما ذهب بعض المحدثين إلى أن اشتغال الأصوليين باللغة ومباديها لم يكن من الفضول " وإنما كان من الأصول والواجب والمعقول" ذلك أن الذين جاءوا بعد الإمام الشافعي " أوسعوا صدر مؤلفاتهم بما أسموه بالمبادئ اللغوية وهي مقدمات تحتوي عادة على أهم ما يحتاجونه في عملية الاستنباط في علوم اللغة، ولكنهم توسعوا فيها حتى خرجت هذه المبادئ عن كونها مقدمات، وأصبحت تعترف بالأصول اللفظية أو مباحث الألفاظ.

ومن مظاهر تجلياتهم في هذا المقام عنايتهم بالألفاظ ومعانيها ودراستها باعتبارات متعددة وتقسيمات متشعبة تصعب السيطرة عليها ، فقد نعتها ابن أمير الحاج (ت 879 هـ) . بأنها أقسام " متعددات متباينات ومتداخلات باعتبارات مختلفات .

وفي هذا إشارة إلى أن دراسة اللفظ عندهم استوعبت جهود اللغوين والنحاة والبلاغيين ، وظهر تفوقهم كما قال الجويني فيما ظهر مقصد الشارع فيه ، ومن أوجه ذلك التفوق انكبابهم على دراسة اللفظ دراسة مستفيضة بأبعادها المعجمية والاستعمالية وفي سياق تحولات الدلالية . فماذا عن مفهوم اللفظ عندهم؟

انظره في: منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي ص: 212.

صفات الداعية وأخلاقه وسر نجاح دعوته

■ إعداد الدكتور: محمد باقشيش أبو مالك — الحلقة الخامسة

■ وعلى الداعية إلى الله بإخلاص وبصيرة، أن يعلم أن التبليغ حسب الإمكان، وليس من شروط أداء واجب التبليغ أن يصل أمر الآمر ونهي الناهي إلى كل إنسان مكلف في العالم، إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة، فكيف يشترط فيما هو من توابعها؟ بل يشترط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه، فإن التفريط منهم لا منه.

وعلى الرغم من امتلاك كل ماسبق من إيجابيات صفات وأخلاق الداعية الناجح في دعوته، وكيف يكون، مع كل ذلك يجب عليه العمل بدعوته قبل جميع الناس، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه أو ينهى عنه ثم يرتكبه، فهذه حال الخاسرين، قال تعالى:(يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون). وقال سبحانه موبخا اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم:(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون).

وصح عن النبي (ﷺ) أنه قال: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل االنار، فيقولون له: يا فلان مالك: ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه" وهذه نتيجة مخالفة الظاهر للباطن، والباطن للظاهر، والفعل للقول، والقول للفعل، والمقت والفشل الذريع في الدنيا، وإحلال البوار يوم القيامة. أما الداعية المخلص فمن أهم أخلاقه في دعوته وأعظمها زيادة على ماسبق. أن يعمل بما يدعو إليه، وأن ينتهي عما ينهى عنه، وأن يكون ذا خلق فاضل وسيرة حميدة وصبر ومصابرة وإخلاص في دعوته واجتهاد فيما يوصل الخير إلى الناس وفيما يبعدهم من الباطل، ومن الأخلاق الفاضلة في دعوته أيضا أن يدعو للناس بالهداية، ويقول للمدعو هداك الله، وفقك الله لقبول الحق، أعانك الله على قبول الحق، يدعوه ويرشده ويصبر على الأذى، ولا يقنط ولاييأس، ولايقل إلا خيرا من غير تعنيف، ولا كلام شيء ينفر من الحق، ولكن من ظلم وتعدى فله شأن آخر، كما قال الله جل وعلا: (ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم).

فالظالم الذي يقابل الدعوة بالشر، والعناد والأذى له حكم آخر في الإمكان تأديبه على حسب مراتب الظلم، بالتدرج معه في دفع ظلمه، حتى يرتدع عنه ويكف عنه، أو يقصره على نفسه، ومع ذلك فمن مراتب الإحسان في الدعوةأن يصفح الداعية عما يتعلق بشخصه ويتجاوز عن بعض الأذى احتسابا لله كما صبر الرسل وأتباعهم بإحسان والله أعلم.

إذا تفقهنا فيما مضى في صفات الداعية إلى الله وكيف ينبغي أن يكون في حال دعوته مقتفيا بذلك منهج الأنبياء والرسل، وأتباعهم ومن تبعهم بإحسان من الدعاة الصالحين والمصلحين إلى يوم الدين، فيحسن بنا أن نقف قليلا على بعض المشاكل في العصر الحديث، التي تواجه أولئك الدعاة في دعوتهم من قبل أدعياء الدعوة والملصقين بالدعاة، والمتشبعين بما ليس لهم، مما جعل دعاة الحق يحتارون في أمر هؤلاء ومشاكلهم المتفاقمة، وكيفية التغلب عليها.

ونوجز هذه المشاكل فيما يلي:

1. الجهل: أي عدم تصور الإسلام تصورا صحيحا.

فمن معوقات هؤلاء الأدعياء انغماسهم إلى آذانهم في داء الجهل بالتصور الصحيح السليم للإسلام، فكان الجدير بهؤلاء أن يوجهوا اهتمامهم إلى فقه مصدري التشريع: الكتاب والسنةوتفهم مقاصدهما، والتمييز بين أصولهما وفروعهما، وذلك بدراسة متفحصة متأنية حتى يحصل النفع والهدى للتي هي أقوم بذلك، ويضاف إلى هذا الاهتمام بفقه السيرة النبوية وتدارسها والتبصر بتفاصيلها، والاطلاع الواسع على ما كتب في هذا المجال، ويصب في نفس الاتجاه، من الكتب التي تستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في بحوثها ومعالجتها للحوادث العلمية.

وبذلك يتكون لدى هؤلاء تصور صحيح لهذا الدين في أحكامه وتشريعاته وعقيدته وعبادته وأخلاقه، وهذا هو الفقه الذي يريده النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

ولكن بدل أن يهتم هؤلاء الأدعياء بحقيقة الشريعة وأهدافها وخلاصتها ويبدأون بتكوين أنفسهم وعلاج أمراضهم قبل أن ينزلوا إلى ميدان الدعوة وذلك بالفهم الصحيح، إذا بهم يفاجئوننا بطفوحهم وسط الميدان بعاهاتهم ومعوقاتهم، فشوهوا جمال الدعوة، وطمسوا معالم الحق بالجهل، ولكنهم لجهلهم لايعترفون به ولايقرون به، وكيف يقبلون الحق وقلوبهم محشوة بالجهل والباطل، وقبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده.

2. التناقض: إذا علمنا ضرورة حاجة الدعاة إلى التصور الصحيح للإسلام، فهم إلى التطبيق العملي والتفاعل مع الإسلام أحوج، بحيث تكون حياتهم ترجمة واضحة لمنطوق الإسلام وصورة كريمة تمثل الإسلام وتحببه إلى الناس، فالأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى دعاة يتوسمون خطى الدعوة في أقوالهم وأفعالهم في حياتهم الخاصة وفي أنفسهم وفي بيوتهم، وفي حياتهم العامة، ليصبحوا بذلك قدوة للمجتمع الذي يعيشون فيه، والداعية الموفق هو الذي يهذب الناس بسيرته قبل أن يهذبهم بلسانه، ويدعوهم إلى الله بخلقه وحسن سلوكه قبل أن يقول شيئا بلسانه.

ولكن مع عدم تصور أولئك الملصقين بالدعوة والدعاة للمفهوم الصحيح للإسلام وهذه عقبة من العقبات في سبيل الدعوة، ومع عدم التطبيق العملي والتفاعل مع الإسلام يقع التناقض اللازم والمتعدي في مجرى حياتهم وممارستهم. فكم تشكو الدعوة الإسلامية في العصر الحديث من تناقض هؤلاء. تشكو من دعاة يعظون ولايتعظون (قسوة)، يقولون مالا يفعلون (نفاقا)، يأمرون ولا يأتمرون)تعاليا)، ينهون ولاينتهون (تنزها)، دعاة تكذب أفعالهم أقوالهم في الغالب، تسمع منهم خطبا قوية، ودروسا دوية، وتحمسات وانفعالات. في الدفاع عن العقيدة ومنهج السلف بزعمهم. والأمر لايعدو أن يكون ثرثرة ولا شيء غير ذلك (نسمع جعجعة ولا نرى طحنا).

وقد بلغ الأمر والحال ببعض هؤلاء المتناقضين ممن يدسون أنوفهم في الدعوة والإصلاح. زعموا. أنه قد يترك الصلاة أو صلاة الجمعة. كما حدث لدعي فاشل متكبر جاهل أنه ترك الجمعة مرتين وينام في وقتها، وكان يريد أن يدع الثالثة لولا أن قيض الله له دعاة للحق مخلصين أنكروا عليه فعله ووبخوه.

3. التكبر والتعالي على الناس: وهذه سمة الداعية الفارغ من العلم النافع، والفاقد للقلب الخاشع، لأنه لو كان يتمتع بذلك لخشعت جوارحه وخشع قلبه وكسره علمه النافع، وتواضع لخالقه، وخفض الجناح لخلق الله المدعوين، ولكنه عار من كل هذا، فهويتصرف بحماقة وجهالةوهذا دليل قاطع على جهل المتكبر بربه وبنفسه، فلو عرف ربه لعلم أن الكبرياء لله وحده، قال رسول الله (ﷺ): :قال الله عز وجل: العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني فقد عذبته".

ومادخل قلب امرئ شيء من التكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر، وهذا صحيح مجرب.

وكأن هؤلاء الأدعياء غافلون عن قوله تعالى: (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) وقوله :(إنه لايحب المستكبرين) وقوله:(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) وغيرها من الآيات البينات.

وقد نهى النبي (ﷺ) عن الكبر وبين حقيقته، فقال: (لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس".

فالداعية المتكبر يرد الحق ولايقبله ولايذعن له، جحدا له وقد استيقنه في نفسه ظلما وعلوا، ولايعترف بخطئه ولاتقصيره ولاسوء عمله، لأنه معجب بنفسه، وقد قال: (ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.." الحديث.

فالداعية المتكبر يحتقر الناس ولايرى لهم قدرا ويستكنف أن يسألهم عما يجهله ولايقبل تعليم من يعلمه، ولايقبل نصيحة من ينصحه، لأنه لايراه شيئا، ويرى أن على الناس أن يلهجوا بالثناء، عليه، يأنف من مجالستهم ومحادثتهم، يرى أنه هو الناجي وهم الهلكى، إلى غير ذلك من آثار الكبر وأفعال المتكبرين، وقد سمعنا أنموذجا من هؤلاء الأدعياء المتكبرين وقد أسدي إليه نصح من بعض الدعاة المخلصين، يقول: وهل هناك من هو أعلم مني، وهذا الكلام غني عن أي تعليق، ويكفي فيه قوله تعالى: (وفوق كل ذي علم عليم).

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1030
السنة 36
الجمعة 25 جمادى الأولى 1424 هـ
الموافق 25 يوليو ز 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1030 الجمعة 25 جمادى الاولى 1424 هـ . الموافق 25 يوليوز 2003م

العمل النقابي في الإطار الإسلامي

■ بقلم الدكتور الحسين أصبي

■ قد يبدو الحديث عن العمل النقابي في الإطار الإسلامي مستغربا لدى بعض المشتغلين بالبحث في الفكر الإسلامي، فلقد مرعلى أمتنا دهر ورثت فيه جملة من المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، ومن ذلك أنه عبارة عن مجموعة من الشعائر التعبدية والمبادئ الأخلاقية وأنه لا صلة له بقيادة مسيرة الحياة أو بميادين. التشريع والتوجيه.

إنه مع وضوح كون الإسلام دينا ودنيا ، عقيدة وشريعة ، منهاجا شاملا عالج أمور الدين وقضايا الإنسان و المجتمع ومختلف جوانب الحياة لا يزال بعض أبناء الأمة ممن لم يكونوا على صلة وثيقة بهويتها ، وثقافتها ممن انبهروا بواقع الغرب النصراني يجادلون في هذه المسألة ومثيلاتها التي تبين حصول صلةالإسلام الوثيقة بالواقع والحياة العملية للناس، فصارت الحاجة ماسة إلى إشاعة العلم بشمول الإسلام لكل نواحي الحياة.

مفهوم العمل النقابي:

يعبر العمل النقابي عن طموحات وتطلعات فئة معينة من الناس في قطاع من القطاعات، ويتجلى في مختلف الجهود والأعمال النقابية التي ترمي إلى إنصاف المستضعفين وتحسين أوضاعهم والدفاع عن حقوقهم ومصالحهم المادية والمعنوية.

وهذه المداخلة سوف لن تتطرق للجوانب التقنية أو وسائل العمل النقابي مثل الاتحاد والتضامن والإضراب والمفاوضات الجماعية ، فهذه أمور خاضعة للتجدد والتطور وفق الظروف والمتغيرات.

ومع هذا، فإن الحاجة الواقعية للأمة إلى الفقه المتعلق بالدولة وأنظمتها في مختلف التخصصات بما فيها تخصص العمل النقابي في الإطار الإسلامي أمر لا تخفى أهميته.

ولقد جعل طغيان المرجعية الغربية التي وضعت أسس الدولة الحديثة الأبحاث والدراسات المتعلقة بهذا الميدان قليلا ما تنطلق من المرجعية الإسلامية والتراث الإسلامي رغم تميزه وغناه فلا يكاد يسمع عن الرؤية الإسلامية والتصور الإسلامي للعمل النقابي بل والسياسي أحيانا ، وهو أمر قد أدى إلى حرمان الإنسانية وليس المسلمين فحسب من خبرة إسلامية متجذرة ومترسخة منذ قرون عدة.

ولا ينكر أحد أن العمل النقابي قد تطور كثيرا وانضجته التجارب الإنسانية وصارت له هيئاته وقوانينه وأعرافه وتزايدت أهميته وتأثيره على الصعيد الاجتماعي، ولكن وللأسف يحدث ذلك في معظم الأحيان . داخل مجتمعاتنا الإسلامية . تحت ظل شعارات ومفردات وخطابات مخالفة لمفاهيم الإسلام ومقاصده وآدابه وأخلاقه.

تأصيل العمل النقابي :

يجد العمل النقابي أو إطاره الشرعي في مبادئ الإسلام العامة وقواعده الشرعية الكثيرة ذات الصلة بهذا المجال.

فالإسلام أولى في التحدث والتبني لحقوق العمال وسائر فئات المجتمع المحرومة والمظلومة لأنه دين الله إلى الجميع وليس من وضع بشر يراعي مصلحته ومصلحة طائفته ، فأحكام الإسلام لا تنحاز لطبقة على حساب الأخرى ولا لفرد على آخر.

حول مصطلح النقابة:

يقال نقب على القوم من باب قتل، نقابة بالكسر. فهو النقيب، أي عريق، والجمع نقباء، المنقبة بفتح الميم الفعل الكريم.

وردت مادة" نقب" في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، ومنها كلمة " نقيب " يقول الله عز وجل:(ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) و" النقيب" هنا أصله من " النقب"، وهو الثقب الواسع، ويقال : فلان نقيب القوم لأنه ينقب عن أحوالهم كما ينقب عن الأسرار ، ومنه المناقب وهي الفضائل لأنها لا تظهر إلا بالتنقيب عنها.

والنقيب " فعيل" ، " والفعيل يحتمل الفاعل والمفعول ، فإن كان المعنى الفاعل فهو الناقب عن أحوال القوم المفتش عنها، وإن كان بمعنى مفعول ، فيعني اختارهم على علم بهم.

إن العمل النقابي يندرج في مجال المقاصد والحكم، وهو ميدان يدخل في باب المعاملات الذي يعتبر الإذن ورفع الحرج فيه هو الأصل حتى يرد دليل شرعي معتبر بالحظر.

ومن المعلوم أن جمهور علماء السلف رضوان الله عليهم كانوا حريصين عند النظر في الحكم الشرعي على التفرقة في الأحكام بين ماهو تعبدي الذي يعتبر التوقيف هو الأصل فيه وبين ماهو عادي الذي مجاله الإباحة حتى يرد الحظر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" إن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان : عبادات يصلح بها دينه ، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم ، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالتشريع.

أما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر.. ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف ، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى ، وإلا دخلنا في معنى قوله:(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) والعادات الأصل فيها العفو، فلا يحظر منها إلا ماحرمه ، وإلا دخلنا في معنى قوله:(قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا).

مبادئ الإسلام وقواعده في هذا السياق:

لقد سبقت الإشارة إلى أن العمل النقابي يجد تأصيله الشرعي في أسس الإسلام ومبادئه الكثيرة التي تتصل بهذا المجال ، وسأكتفي بالحديث عن الأسس والمبادئ الآتية:

1 . أساس العدالة الإسلامية.
2 . مبدأ حرمة الظلم والاستغلال.
3 . مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
4 . مبدأ حفظ المصالح وجلبها ودرء المفاسد ودفعها.

أولا : أساس العدالة الإسلامية

مفهوم العدل:

أ . في اللغة: ورد في لسان العرب (العدل ماقام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور).

ومن دلالاته اللغوية: الإنصاف والحكم بالحق ، والاستقامة ودفع الجور، والمساواة وترك الهوى ودفعه.

ب . في الإصطلاح : عرف بأنه:" التوسط بين طرفي النقيض، وضده الجور".

ولقد بين القرآن الكريم بأن العدل هو رسالة الأنبياء جميعا ، وأنهم مبعوثون لإقامة القسط بين الناس ، قال الله عز وجل : (ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط).

وحث القرآن بصيغ المبالغة على إقامة العدل بين الناس بغض النظر عن جميع الاعتبارات المادية لأنهم إنما خلقوا من أصل واحد، فهم سواسية كأسنان المشط ومقياس التفاضل هو حسب التزامهم بتقوى الله عز وجل ، ولا وزن للونهم أو حالتهم الاقتصادية أو الاجتماعية أو جنسهم أو حتى صلاتهم الرحيمية ، قال الله تعالى:« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا).

قال الشيخ رشيد رضا في بيان معنى هذه الآية :" كونوا قوامين بالقسط ، أي لتكن المبالغة والعناية بإقامة القسط على وجهه صفة من صفاتكم ، بأن تتحروه بالدقة التامة حتى يكون ملكة راسخة في نفوسكم ، والقسط يكون في العمل كالقيام بما يجب من العدل بين الزوجات والأولاد ، ويكون في الحكم بين الناس ممن يوليه السلطان أو يحكمه الناس فيما بينهم ، وكان ينبغي أن يكون المسلمون بمثل هذه الهداية أعدل الأمم وأقومهم بالقسط، وكذلك كانوا عندما كانوا مهتدين بالقرآن وصدق على سلفهم قوله تعالى:(وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) .

وفي السنة أحاديث كثيرة تظهر الاهتمام الذي أولاه الإسلام لإقامة العدل بين الناس ، إذ اعتبرته الأساس الذي يحفظ به النظام في هذا العالم وعليه يقوم أمر الاجتماع البشري، وبدونه تسري الفوضى وتهضم الحقوق.

روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:« إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا» رواه مسلم.

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال:" إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة".

والنصوص التي تأمر بإقامة العدل وردت بصيغ وألفاظ " كالقسط" ومشتقاتها التي ذكرت في القرآن في اثنين وعشرين موضعا، كما في قوله عز وجل:" قل امر ربي بالقسط" سورة الأعراف / الآية 29. و"الميزان " كما ورد في قوله تعالى:" الله الذي نزل الكتاب بالحق والميزان" سورة الشورى/ الآية :5. والحق كما في قوله تعالى:" الله يقضي بالحق" سورة غافر الآية:20. و "الوسط" كما في قوله سبحانه :(وكذلك جعلناكم أمة وسطا) سورة البقرة / الآية 143. وقوله جل وعلا: (قال أوسطهم) سورة القلم/ الآية 28. أي أعدلهم.

إن نظرة الإسلام إلى العدل نظرة شمولية ذات أبعاد حضارية كبيرة ، فلا يقتصر فيه على ما يتصل بميدان القضاء ولكنه شامل لمختلف صور العدالة في جميع المجالات ، والحضارة لا تقوم إلا في وسط يقيم العدالة ، فهي " نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ، وما لم تقم بعدل لم تقم ، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة.

ونظرا للمكانة الرفيعة التي يتبوأها العدل في الإسلام تحدث العلماء عن أنواع متعددة له فذكر ابن العربي أن العدل يكون مع : العالم " وقسمه إلى ثلاثة أنواع:

1 . عدل بين العبد وربه.
2 . وبينه وبين نفسه.
3 . وبينه وبين الخلق.

وقد تفرع عن الصورة التي تتعلق بالعدل بين الإنسان وأخيه الإنسان أقسام أخرى منها/: العدل الاجتماعي، والعدل المالي والعدل في القضاء.

ويهمنا هنا صورة العدل الاجتماعي ، فلقد عمل الإسلام على تطبيق العدالة الاجتماعية على أرض الواقع وأكد على كرامة الإنسانية في جميع الظروف والأحوال حتى ولو كانت ظروف الحرب ، فأوجب تكريم الإنسان لذات الإنسان، واعتبر أن مصلحة المؤمن تدخل في دائرتها مصلحة أخيه.

وتمتد هذه الصورة من صور العدالة الإسلامية لتشمل كل أفراد المجتمع الإسلامي بغض النظر عن ملتهم أو ديانتهم أو عددهم كالأقليات الدينية والسياسية المختلفة.

وينبغي أن يتجسد هذا البعد الإنساني في العمل النقابي الذي يهتدي بتعاليم الإسلام ، فيؤكد على إنسانية الأهداف النقابية، لأن الأصل هو تكريم الإنسان لذاته ، قال تعالى :(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا).

ولقد شرع الإسلام ما يحقق العدل الاجتماعي بين طبقات الأمة وفئاتها من زكاة واجبة ومختلف أنواع الصدقات والإنفاق سواء كان تطوعيا أو ملزما ، فاعتبرت الشريعة الإسلامية قضاء حاجات الإنسان وسد فاقته والسعي إلى تحقيق مصالحه من أعظم الأبواب للحصول على الأجر الجزيل فكل نفع وخير يوصله الإنسان إلى أخيه الإنسان هو من العدل الذي أمر الإسلام بإقامته، وهو ما ينبغي أن يسعى العمل النقابي لتحقيقه بالدفاع عن مصالح الناس وحقوقهم عمالا كانوا أو أي فئة من فئات الأمة ما دامت مهضومة في حقوقها.

« يتبع»